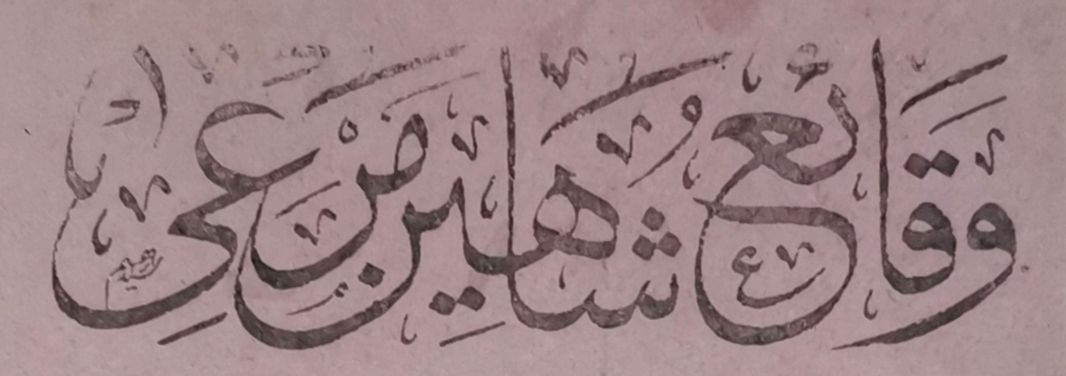


الشقى اللبنانى الشهير

(وهى صفحة من تاريخ لبنان فى عهد العثمانيين)

﴿ جمع وتأليف ﴾

رفيق له شاهد عيان

(ثمن النسخة ٥ قروش صاغ)

طبعت بنفقة وعناية ملتزمها



(ثمن النسخة ٥ قروش صاغ)

ومجلة مسامرات الخليل بشارع محمد على رقم ١٠٥
قريبا من دار الكتب الملكية بمصر

مطبعة وادى الملوك بشارع محمد على
بحارة الغزاوية خلف دار المؤيد بمصر





الشقي اللبناني الشهير

(وهي صفحة من تاريخ لبنان في عهد العثمانيين)

— جمع وتأليف —

رفيق له شاهد عيان

طبعت بنفقة وعناية ملتزمها



ومجلة مسامرات الخليل بشارع محمد علي رقم ١٠٥
قريبا من دار الكتب الملكية بمصر

مطبعة وادي الملوك بشارع محمد علي
بحارة الفزارية خلف دار المؤيد بمصر

ان فى تواريخ المتقدمين امبر يجب على ذوي الفطنة حث القوم على الاتعاظ بها نظراً لما قد يكون فيها مما لا يجب اغفاله لأن فى سرد حوادثهم ما يدل على ما كان عليه أبناء عصرهم من المدارك والخصال وما كانت عليه حكومتهم من المبادي٠

فالكل يعلم ان حكومة تركيا كانت قد أطلقت الحبل للرعاع خصوصاً في بيروت وسوريا فكانوا يقتلون بعضهم بعضا بمجرد تباين أديانهم ليس إلا وهي سياسة عقيمة نشأت عنها حوادث فظيعة أخصها حادثة الدروز والمسيحيين فى لبنان فى سنة ١٨٦٠ التى ذهبت فيها أرواح كثيرة لأن يد الحكومة كانت مع العنصر غير المسيحي وعليه نشأ في البلاد قوم اتخذوا القتل والسلب ديدنا. فصاحب الترجمة كان من هؤلاء غير انه تمادى فى جرائمه إذ تعدى حد القبضايات وضرب على غير ما كانوا يضربونه من الانغام وهذا ما أحط من قيمة شهرته بالقوة البدنية وحمل معارفه على أن ينبذوه

المؤلف

شاهين مرعي

هو الرجل المشهور بالقوة ومتانة العضل والجرأة النادره ولا نخال أحداً يجهل اسمه من سكان سوريا ولبنان . ولد فى قرية عبيه من والد وجيه اشتهر بالقوة وكرم الخلق يدعي مرعي طنوس . وكان صديقا حميما للشيخ علي فرج أحد وجهاء الطائفة الدرزية فى عبيه حتى كانا يكادان لايفترقان

وفي سنة ١٨٦٢ صعد مرعي هذا وعلي الى دير القمر لقضاء مسألة هناك فلما رأى رجال الدير عليا اتفقوا على البطش به انتقاما لقتلاهم فى سنة ١٨٦٠ ولما شعر مرعى بذلك وقف أمامهم وقفة الاسد وقال يعار عليكم أن تنتقموا من رجل أعزل لجريمة ارتكبها سواه من أبناء طائفته واني أقسم لكم بأن لاتسقط شعرة من رأسه قبل أن يطاح رأسي فاعتذر القوم له حينئذ وعاد مع صديقه الى عبيه. فاكبر علي فعل صديقه وحفظ جميله هذا مدة حياته كلها بحيث كان لايفتر عن اكرام ولده شاهين ومساعدته ماديا كلما نزل ضيفا عليه

ولما رأى مرعي ان ميدان الرزق قد ضاق عليه فى عبيه رحل الى مدينة صور واقتطع فيها أراضي واسعة درت عليه رزقا كثيراً

وكان شاهين صاحب الترجمة لا يزال يافعا فأرسله الى المدرسة لتلقي
مبادىء القراءة والكتابة غير انه لم يكن ميالا إلا لركوب الخيل
وممارسة الفروسية حتى انه كان لا يحجم عن مغالبة أي كان من أشداء
الرجال . فلما رأى والده ذلك منه جعله وكيلا على زراعاته فقام
بوظيفته هذه خير قيام وهابه الجميع حتى لم يكن أحد من اللصوص
يجرأ على الدنو من أملاك والده أو سلب شيء منها

ولقد امتطى مرة جواده وأطلق له العنان بين قطيع كبير من الاغنام
حتى إذا توسط القطيع اختطف منه رأسين من الغنم في يد كل رأس
وغاب عن نظر الاكراد أصحاب ذلك القطيع في طرفة عين وبعد مضي
ساعتين عاد الى الزراعة وجمع المزارعين كلهم وذبح لهم الكبشين فأكلوا
وشربوا وطابت نفوسهم وباتوا منذ تلك الساعة أطوع له من بنانه
ولم يكن ينام إلا في البيدر (الجرن) وقد اتفق ان مر ذات مساء
رجل من هناك دون أن يطارحه السلام فانتهره شاهين بقوله
الى أين أنت ذاهب يارجل ؟ قال اني ذاهب الى حيث أشاء
ولم تسألني ؟ قال سألتك لأنك مررت مرور الحمار دون أن تطارحني
السلام قال وهل من يسلم على فتى قليل الحياء مثلك فلم يكد الرجل
ينطق بهذه الجملة حتى انقض عليه شاهين انقضاض الصقر على العصفور

وفاجأه بطعنة من مديته في صدغه خر على أثرها قتيلا وكان رجاله يشهدون فعله هذا فأتوا ورفعوا القتيل ودفنوه في التبن ثم واروه التراب في منتصف الليل . وقد بحثت الحكومة كثيراً عن القتيل دون أن تقف له على أثر ، لما وقف والده على الحادث طرده من منزله خشية أن يكون سببا لايقاعه في يد الحكومة وضياع شرفه وهذه كانت أول جناية ارتكبها

ولما بلغ سن الشباب نشأ فيه ميل الي مقارعة الاقران فلم يكن يبلغه خبر رجل اشتهر بالقوة والفروسية الا سار اليه وصادقه وصيره تحت امرته

وكان في جهة النبطية القريبة من جزين رجل من الاشداء الذين لايهابون الموت ولا يحسبون للحكومة وسلطانها حسابا يدعي الخراب فسار شاهين اليه وصادقه وصار يخرج معه لقطع الطرق وسلب المارة

ولما كثرت شرورهما ارتفعت الشكايات ضدهما من كل جانب فارسلت حكومة صيدا عشرين فارسا للقبض عليهما أو قتلهما والمجيء بهما . وكانا اذ ذاك في جبل وعر قريب من بكاسين يلافران الخمرة وكان السكر قد أخذ منهما مأخذه فرقدا في ظل سنديانة كبيرة ولكنهما رغم سكرهما سمعا وقع حوافر الخيل على الصفا

فهبا الى سلاحهما ولكن الفرسان كانوا قد احاطوا بهما احاطة السوار بالمعصم وصوبوا اليهما البنادق وأمروهما بالتسليم فرأيا أن الفرار محال وأن المقاومة قد توردهما موارد العطب فسلما وللحال شدوا وثاقهما وساروا بهما الى صيدا وكان شاهين قد تمكن أثناء سيره من فك عقاله ولما بلغا جسر قرية درب السيم قفز شاهين الى النهر ليدرك الضفة الثانية ويتخذ الفرار خليلا غير أن أحد الفرسان أسرع الى الضفة المذكورة وانتظره والطبنجة في يده محشوة بارودا حتى اذا حاول الصعود أطلق تلك الغدارة على وجهه فحرقه حرقا حتى لم يعد يرى ما أمامه فاصعده حينئذ من الماء وشد وثاقه ثانية ولما بلغوا صيدا ألقي مع زميله في غيابة سجن مظلم بابه ضيق وليس فيه سوى كوة صغيرة عالية مشبكة بقضب الحديد الثخين فمكث هناك ستة شهور كان في أثنائها يقاد الى المحكمة لسؤاله عن الجرائم المنسوبة اليه فكان ينكرها كلها اذ لم يكن لدى القاضي مايثبت عليه التهم . ولما طالت مدة اقامته في السجن اتفق مع زميله على الفرار منه بكل وسيلة ولو أدى ذلك الى موتهما فعالج أولا القيود الثقيلة التي كانا مقيدين بها حتى كسراها ثم عمدا الى حديد الكوة فخلصاه رغم متانته وثخانته فاتخذه شاهين سلاحا كما اتخذ زميله القيد

ثم خلعا باب السجن ولطما الجاويش الواقف أمامه لطمة كادت تودي بحياته فسقط على الارض مغشيا عليه ولما رآهما المسجونون ضجوا مع حراسهم وللحال نفخ أحد الحراس في البوق نفخة شديدة تنبه لها الجنود وأدركوا الغرض منها فتقاطروا من كل جهة ووقفوا على سلم السراي الواسع الذي نزل الفاران منه لالقاء القبض عليهما غير انهم حين رأوهما يضربان كل من يتعرض لهما بالقيد وحديد الكوة فتحوا لهما الطريق حتى إذا بلغا البوابة الكبرى وجدا جنديين معلقين بترباسها الطويل الثخين فهجم شاهين على ذاك الترباس وقبض عليه قبضة جبار واجتذبه اليه فانقلع وسقط الجنديان المعلقان به الى الارض وانفتحت تلك البوابة فوجد الشقيان أمامهما كوكبة من الفرسان والحراب في أيديهم فارتج عليهما الامر واسقطا بأيديهما فاضطرا الى التسليم فشد الجنود وثاقهما وأعادوهما الى السجن بعد أن أشبعوهما لكما ورفسا وضربا بمؤخر البنادق

وبعد انقضاء ثلاثة شهور على هذا الحادث أعدم الخراب في سوق النبطية وأطلق سراح صاحب الترجمة لعدم توفر الادلة ضده . فخرج اشعث اغبر ممزق الاثواب لا يملك فلسا فصادف بين بساتين صيدا فارسا مقبلا نحوه فطلب اليه أن يعطيه لفافة من

التبغ وبينا كان المسكين يمد يده الى جيبه لتلبية الطلب فاجأه الشقي بحجر على صدغه خر على أثره قتيلا ونزع شاهين ملابسه ولبسها فوجد فى احدي جيوبها عشرين جنيها وللحال امتطى متن الجواد وأطلق له العنان حتى اذا بلغ مدينة صور باعه بعشرة جنيهات

أما القتيل فلما بلغ خبره الحكومة بثت العيون والارصاد فى كل جهة املها تعثر على المجرم فسجنت الكثيرين من أرباب السوابق مددا مختلفة حتى اذا اعيتها الحيلة أطلقت سراحهم ولم يدر في خلد أحد أن شاهينا قد يكون المرتكب لان الجريمة وقعت بعد انقضاء ساعة على خروجه من السجن

الاتجار بالحمير

بعد أن انفق شاهين ما سلبه من القتيل مع ثمن الجواد حار فى أمره وجعل يعمل الفكرة فى الوصول الى ما ينفق فرأي رجلا عليه ثياب رثة طويل القامة عريض المنكبين فسار معه الي احدي القري القريبة من صور فالبسه عباءة وقال له عليك أن تطوف حول القرية مرتين دون ان تفعل أو تقول شيئا ولا يكون ذلك بعد ذلك الا الخير فامتثل هذا للامر دون جدال أو معارضة لان الفقر كان قد زهده فى دنياه . ولما عاد اقامه شاهين مكانه وسار الحه

القرية ماثلا وفى حزامه خنجر عريض والى جانبه طبنجه مفضضه وبعد أن جاس جهاتها طلب مقابلة شيخها حتى إذا اجتمع به قال اعلم ياهذا ان زمرة من قطاع الطرق عازمون على مهاجمة القرية في الليلة المقبلة وسلب كل ما تصل اليه أيديهم فعليك أن ترضيني لاصدهم عنها لانهم اذا هاجموها لا يرحموا أحداً . فضرب الشيخ أخماسا في أسداس للتخلص من هذه الورطه فرأى المقاومة لا تجدى فائدة لأن جميع السكان من المزارعين الفقراء ولا يملكون الا مواشيهم فالتفت اليه وقال وما الذي تطلبه الآن قال ماية جنيها وحمارين محملين خبزا وجبنا لرفاقي قال أما النقود فلا نملك منها جنيها واحداً وأما الحمير فاستطيع أن أسلم اليك اثنين منها وعليهما ما أجد في بيتي من الخبز . فقنع صاحبنا بذلك ثم قصد قرية أخري وأخذ منها حمارين بهذه الكيفية عينها حتي اذا اجتمع لديه عشرة حمير خطر له أن يهاجم طاحونا كائنة في جهة تدعي رأس العين فسار اليها فاذا فيها تسعة حمير فاشهر الطبنجه على أصحابها حتى اذا فروا من أمامه استاق الحمير التسعة وضمها الى العشرة الاولى وسار الى بلد اخر باعها فيه بتسعة عشر جنيها أعطى رفيقه منها اثنين وركب زورقا الى بيروت

تهريب الدخان

لما كان ادخال الدخان اللبناني الي بيروت ممنوعا كان المهربون يتفننون في اختلاق طرق تهريبه حتى اتفق لهم أن وضعوه مرة في نعش وتزيا بعضهم بزي الكهنة وساروا أمام النعش والباقون منهم ساروا وراءه فانخدع رجال الحفظ بحيلتهم ولم يتعرضوا لهم بسوء . وكان المدعو عثمان عبد العال وهو من المشهورين بالقوة والفتوة يرأس زمرة من هؤلاء المهربين . فلما نقل اليه خبر وجود شاهين في بيروت أرسل في طلبه الى قهوة البسطه التي لا يجتمع فيها إلا البحارة والاشقياء من المسلمين فقط لأن البسطه مختصة بهم وحدهم . فراى شاهين ان الاحجام عن الذهاب الى هناك قد يحط من مقامه لأن عثمان يعده جبانا فقام وخنجره وطبنجته في حزامه وعصاه في يمينه وسار حتى إذا بلغ تلك القهوة طارح من فيها السلام وعيناه تقدحان شررا لأنه كان عازما على الفتك بكل من يتعرض له بكلمة لا ترضيه فقابله عثمان مقابلة الند لنده وأجلسه الى جانبه وأكرمه أيما اكرام فسر شاهين مما رآه منه فقال له . لقد سمعت بفعالك ياشيخ شبان بيروت فجئت ولا غرض لي سوى الحصول على شرف التعارف بك وحيث قد تم الامر فصرت تستطيع أن تعتمد علي

في جميع الملمات التي يتعذر على رجالك الاقدام عليها . قال انا عرفناك قبل أن تعرفنا لان الرجال تعرف بعضها أما الآ ن فعليك أن تصحبني إذا شئت الى حيث أكرمك لئلا يقال باني تعديت القاعدة التي رسمها الابطال ثم قام معه يتبعهما عشرة من رجال الاول حتى دخلوا احدى الحانات وجعلوا يعاقرون الخمرة حتى مطلع الفجر ثم سار كل واحد في شأنه . أما شاهين فآ وى الى منزل من المنازل السرية كان قدعرفه ورقد فيه حتى منتصف النهار ثم خرج لشؤونه متجنباً رجال الحفظ خشية أن تكون الحكومة ساعية في القبض عليه

وفي ذات يوم دعاه الحاج عثمان عبد العال اليه وقال انا نريد ادخال الف اقة من الدخان الى المدينة وتخزينها في البسطه فلك مني مائتا ريالا اذا ادخلتها وسأجعل تحت أمرك عشرين من رجالي اذا شئت . قال ومتى تريد أن يكون الدخان في البسطة قال في هذه الليلة وهو موجود في الشويفات قال دع عشرة من رجالك يقيمون على انتظاري في طريق الشويفات بعد الغروب ويكونون متأهبين للعمل قال لك ذلك فسار شاهين بعد الغروب الى الشويفات ملثماً وسيفه الى جانبه فوجد الرجال في انتظاره فأمرهم بنقل الاحمال على ظهور البغال وسار أمامهم ملتفا بعباءته حتى اذا بلغوا حرش بيروت

وقف رجال الخفر في وجوههم لتفتيشهم فما كان من شاهين إلا أن استل سيفه وقال ان الذي يتعرض لأبي حمد لم يولد بعد فاذا ابيتم أن تتخلوا عن الدخان أطرت رؤوسكم بهذا السيف ثم صاح برجاله وقال تقدموا فما وسع الخفراء الا البقاء في مواقفهم لأنهم رأوا أن رجاله يزيدونهم عدداً وفضلاً عن ذلك فانهم من الاشداء المشهورين بالفتك . ولما صار الدخان في البسطة ذهب شاهين الى القهوة التي تعود الجلوس فيها منتظراً الحاج عثمان وما وعد غير ان المذكور اكتفي بأن أرسل أحد رجاله حاملا اليه مائة ريالا فلما رأى شاهين ان عثمانا أخلف وعده عد ذلك ازدراء به فسل خنجره وقال للرسول قل للحاج عثمان ان كلام الرجال رجال الكلام وان روح عثمان على رأس هذا الخنجر فمد اليه بما حملت وإذا لم توافني بالمائتي ريال بعد ساعتين عرفت ما أفعل . فطيب هذا خاطره معتذراً وسار حاملا الى مرسله ماسمع فما كان من عثمان إلا ان بادر اليه ودفع المائتى ريالا

وبعد أن مكث عشرة أيام في بيروت صعد الي قرية عين عنوب وأقام في قهوة صديق درزي له يعاقر الخمرة وينفق عن سعة

ايداعه سجن بيروت

حدث في الليلة التي غادر فيها بيروت الى عين عنوب أن أحد الاشقياء انقض على ثلاثة من الشبان المسلمين وهم يعافرون الخمرة واطلق عليهم الرصاص فجرحهم جراحا خطرة ولجأ الى الفرار معتصما بجبال لبنان وكان قومسيير البوليس فى بيروت اذ ذاك احمد بك المريس فبث العيون والارصاد حول شاهين ولما لم يهتد اليه أرسل رجاله للبحث عنه فى لبنان فعاد اليه أحدهم مخبرا بانه موجود في قهوة فلان فى عين عنوب فسار برجاله اليه عند الفجر وكان شاهين راقدا فى القهوة غير حاسب لشيء حسابا فما شعر الا والجنود هاجمة عليه وبنادقها مصوبة الى صدره فمد يده ليتناول سلاحه من تحت الوسادة فادرك أحد الجنود غرضه وأطلق عليه رصاصة نفذت من فخذه فسقط في الحال على فراشه جريحا ولم يكن الا هنيهة حتى نقل مكتوفا الى مركبة سارت به محروسا الى سجن بيروت حيث قاسي عذابات مرة اذ كانوا يضربونه بالسياط في صبيحة كل يوم ولا يقدمون له سوي كسر الخبز الناشف مع كوز من الماء وكان حين يغط فى النوم يرش الماء على وجهه حتى يعدم الراحة فبقى على هذه الحال ثمانية شهور ثم أفرج عنه لعدم ثبوت التهمة

بشهادة المعتدى عليهم . ولما ملك عافيته التامة استقل زورقا الى يافا
ومنها سار على القدمين الي السلط وعمان يشن الغارة مع العربان
على القبائل حتى اذا جمع بعض النقود عاد الي يافا واقترن فيها بفتاة
بتوسط بعض معارفه وجاء بها الى الاسكندرية مع شقيقتيها حتى
اذا فرغت جيوبه عثر على أحد تجار المصوغات السوريين فطلب
اليه أن يأتيه بزوج من الاقراط الغالية الثمن مع مدليون من البرلنتي
وأساور مرصعة بالاحجار الكريمة الى غير ذلك من الحلي الثمينة
التي تليق بكرام العقائل لأنه سيصحبه الى منزل أحد كبار الموسرين
فيبتاع منه ماشاء لابنته المزمع زفافها فما كان من التاجر المذكور إلا أن أتاه
بما طلب فركب معه مركبة الي محرم بك وبيناهما في الطريق استل الشقي
مديته وطعن بها رفيقه الجالس الى يساره طعنة نجلاء غير أن التاجر
تنبه اليه فقبض على تلك اليد الاثيمة دون أن يستطيع صدها
فجرح في رأسه جرحا بالغا وجعل يصيح مستغيثا والحوذي يساعده
حتى وصل رجال الحفظ ومعهم اثنان من الفرسان الانكليز فقفز
الشقي من المركبة بغية الفرار فرأي الحراب مسلولة في وجهه فايقن
حينئذ بالوقوع بين يدى الحكومة وبعد ان اوثق الجنود يديه
وقادوه الى القسم ومنه الي السجن . وكان في جيبه حق صغير مملوء

من المرهم الذى ركبه بمعرفته ولما طال مكوثه بين جدران ذلك السجن والتحقيق معه مستمر دهن خصيتيه بذاك المرهم ورقد فلم تكن الا ساعة حتى تورمت خصيتاه وأصبحت كل واحدة منها قدر كرة القدم فاسرع السجان اليه بالطبيب الذي ماعتم أن أمر بعد فحصه بنقله الى مستشفي الامراض (المعفنة) لظنه انه مصاب بالتشويش ولما جن الليل خرج يتهادى الى حديقة المستشفي وكانت محاطة بسور عال فجعل يطوف فيها حتى عثر على سلم طويل فحمله واركزه على السور وصعد عليه الى رأس الحائط ثم جره وجعله في الجانب الخارجي ونزل عليه الى الارض ولما لم يجد رقيبا سار سيراً حثيثا والظلام يستره حتى بلغ البحر فوجد سفينة شراعية يونانية تتحفز الاقلاع الى قبرس فنزل اليها وبعد انقضاء ثلاثة أيام كان يسرح ويمرح فى تلك الجزيرة

أما النيابة فلما لم تجد له أثراً حفظت التهمة وأما التاجر المسكين فبعد أن قضي ثلاثة شهور فى المستشفي خرج معافي شاكرا الله على نجاته وقد قال عند خروجه ان القاتل حين رفع يده بالمدية صدمت غطاء المركبة فلم يستطع أن يستعمل منتهى قوته في الضرب وأن المجال لو كان فسيحا لتمكن من شطر رأسه شطرين بطعنة واحدة

معلقة الدامور

لما طال مقامه في تلك الجزيرة رأى أن الرحيل منها أفضل وبعد أن قدح زناد فكرته قرر الرجوع الى لبنان فوصل اليها خاوي الوفاض فصار يتردد على كبار القوم فيكرمون مثواه خوفا من بطشه وكان لرجل مثري في معلقة الدامور دين على أحدهم بكمبيالة قرب موعد استحقاقها فاتفق مع شاهين على أن يعطيه ماية جنيها إذا أتاه بالكمبياله فأجابه هذا ولم تطلب الكمبيالة وليس لي اليها من سبيل فيكفيني أن آتيك برأسه قال افعل ماشئت قال اعطني شيئاً على الحساب فأنقده عشرين جنيها . فذهب لساعته الى الدامور وكمن بين أشجار التوت القريبة من منزل الرجل المقصود وكان هذا المسكين على العشاء ومامن أحد عنده سوى خادمته فلما أتم عشاءه خرج ليغسل يديه في صحن الدار فصوب الشقي بندقيته الي رأسه وأطلقها فخر على الارض صريعا أما شاهين فتغلغل بين أشجار التوت الفضة وعاد الي بيروت لقبض باقي الجعل المعين ومن هناك صعد الى بيت الدين وجهاتها معلناً انه طبيب يداوي كل مرض فانخدع الكثيرون بأقواله وربح مبالغ وافرة كان ينفقها في ملاذه

وفي ذات يوم جاءه أحدهم منبئا أن رسولا جاء بيروت

ليحمل من المصرف مبلغا الى مصنع للحرير في مملقة الدامور فما كان منه إلا أن كمن مع مخبره هذا بين خلدة والشويفات فلما مر الرجل انقضا عليه وسلباه مايحمل بعد أن أشبعاه ضربا وكان مايحمله مايتى جنيها . ولما نمي الخبر الى صاحب المال رفع الامر الى قائمقامية الشوف في بتدين فلم يسع القائمقامية إلا الجد في البحث وكان الخبر قد نقل الى المتصرف نفسه فطلب الى القائمقام أن يأتيه بالقاتل وإلا أصدر أمره بعزله ولما كانت الشبهات كلها حائمة حول شاهين القي القبض عليه وهو راقد في منزل أحد معارفه وجيء به مكبلا بالقيود وطرح في السجن رهن التحقيق وكان في السجن أحد المشهورين بالفتوة من أقرانه فجعل يقطع الوقت معه في المقامرة والحديث بحيث كان أحدهما يقص على الآخر مافعله مفتخراً به وبعد أن قضى في السجن عاما كاملا أطلق سراحه . فعاد الى التجول في لبنان وبيروت حتى إذا ضاق به المقام رحل الى نيويورك مع بعض معارفه طلبا للثروة التي وهم انها تأتيه عفواً بلا كد أو عناء ففتح هناك قهوة ومطعما ولما وقف السوريون الموجودون هناك على خبره تجنبوه ولم يزالوا به حتى قبل الرجوع الي بيروت فقطعوا له

تذكرة الرحيل وزودوه بمبلغ من المال لنفقات الطريق حتى إذا بلغ
بيروت عاد الى تهريب الدخان وغيره من الفعال التى لا يأتيها
الا الاشقياء

ما أتاه فى أطنه

خطر له بعد أن ضاقت سبل العيش في وجهه أن يرحل الى
أطنة لعله يلاقي فيها ما يطمع فيه من الرزق الوفير فرحل الي هناك
مزودا بكتاب الى قنصل ايران ليعينه في خدمته فلما رآه القنصل
أعجبه شكله فعينه قواسا للقنصلية . فسر شاهين بهذا التعيين
خصوصا بنقل السيف الاحدب فوق البزة الايرانية وجعل دأبه
تهريب الارمن الراغبين فى النزوح عن بلادهم الى أميركا فكان
يتفق مع الموكول اليهم أمر المراقبة للمنع على أن يدفع عن كل
مسافر جنيها بيد كان يقبض من كل من هؤلاء ثلاثة أو خمسة
جنيهات فجمع بهذه العملية مبلغا يذكر وكان قد تعلم التكلم باللغة
التركية واتخذ له من رجال الامن الاشداء أصدقاء كان يكلفهم
تهريب الدخان وغيره مما هو غير مسموح ادخاله ويقتسم الفائدة
معهم . ولما بلغ مأمور الميناء خبر تسرب الكثيرين الي اميركا دون

أن يناله شيء مما نال الحراس غضب وشدد المراقبة وكان شاهين قد امتطى متن جواده وهو بزته الايرانية وسار مع ثلاثة من رجاله الى حيث يلاقي عشرين نفراً من الراغبين فى النزوح الى بلاد كولومبوس ليوصلهم الي البحر فنمي خبره الى المأمور فجمع رجاله وسلحهم بالبنادق والحراب وكمن فى مكان لابد للقوم من المرور فيه وكان الظلام حالكا والسكون شاملا والبرد قارسا ولما وصل شاهين برجاله أطلق رجال المأمور بنادقهم في الفضاء بغية الارهاب وانقضوا على القادمين وكان شاهين في المؤخرة فلما سمع صوت البارود علم ان هجومه قد يكون غير محمود العقبة لانه اذا وقع في يد الحكومة تخلى قنصله عنه وفقد مركزه فجمع الفارين من الذين كان قد جاء بهم وسار معهم في طريق اخرى الى البحر وفاز بما أمل

وقد اتفق له فى أحد الايام ان رأى ابنة أرمنية من بنات أحد معارفه فاحبها وأبدي رغبته فى التزوج منها الى والدها فما كان من هذا الا أن أجابه الي طلبه لانه كان يعد ما يبلغه عنه رجولية فطاب له العيش فى تلك البلاد وصار يتفنن فى اكتساب النقود تفننا ينال بواسطته ما يريد

وفي ذات مساء رأى وهو خارج لتهريب الدخان قوما يسوقون ماشية أمامهم يبلغ عددها عشرين ثوراً فادرك لساعته بأنها مسروقة فساوم أصحابها على ثمنها حتى قبلوا بيعها اليه بثمن لا يزيد عن جنيه واحد لكل ثور فامرهم بعد الاتفاق بان يسيروا بها الى مطرانخانة اليونان وكان المطران يحبه ويكرمه ويعطيه كل ما يطلب فلما وصل القوم بالماشية صعد هو فقابل سيادة المطران ناقلا اليه خبر وصول الماشية اذ أخبره بان أصحابها راغبون فى بيعها لانهم عازمون على الرحيل الى أميركا ويستطيع أن يشتريها له بثمن بخس ولما كان للمطران ضيعة كبيرة في ضواحي المدينة قبل الشراء وكلفه مساومة البائعين فاجابه انى فعلت ذلك قبل مثولى بين يديك اذ قبلوا ثلاثة جنيهات ثمنا لكل ثور فانقده المطران ستين جنيها دفع منها عشرين لهؤلاء وأبقى الاربعين لنفسه وبعد انقضاء عشرة أيام عاد الى المطران قائلا : لقد أخطأت في ما فعلته معك ياسيدنا قال باي شيء قال بالماشية لانى رأيت اليوم أصحابها يبحثون عنها وأما الذين باعوها فلم يكونوا الا لصوصا وأخشى أن يهتدوا الى مقرها ويرفعوا الامر الى الحكومة فتسوء العاقبة كما في ذلك من المساس بشرفك قال وما الحيلة الآن قال الامر لسيدنا وعلى

أن أصدع بما تأمر قال سر الي الضيعة وأخرجها منها وأطلقها بعيدا عنها ثم أخبر أصحابها بانك رأيتها في الجهة التي تكون قد اطلقتها فيها فيهتدوا اليها ويعودون الي بيوتهم ولقد كان يجب عليك أن تتبصر قبل أن تعرض على شرائها وتوقعني في هذا المازق ولكن لا بأس فالرب يعوض ما أعطت . فخرج صاحبنا من عنده الي الضيعة واساق الماشية أمامه الى حيث باعها للذين يصنعون البسطرمه وكان مع هذه الخصال الفاسدة كريم الاخلاق حسن المعاشرة لا يتصور محدثه بانه من سفاكي الدماء وكان اذا سئل يعطي لان العطاء كان يعتبر عنده من فعال النخوة والمروءة ولكنه حين كان يرى جيبه خاليا يقلق ولا يعود يسكن له بال الي أن يملك ما يطلب انفاقه ولو بالسلب والقتل وكل ماجمعه في أطنه انفقه في ملاذه وكان جميع عشرائه في تلك البلاد يهابونه نظراً لما شاهدوا من بطشه وجسارته واقدامه علي خوض غمار المخاطر

رجوعه الى بيروت

لما أبدلت حكومة ايران قنصلها في اطنه عاد شاهين وكان يلقب بابي حمد الى بيروت مع زوجته معتصما بالهدوء والسكون حتى

اذا نفذ ما كان معه جعل يتردد على الذين كان ينفذ مآربهم من كبار القوم فيعطونه ما يطلب – وبينا كان مرة مع أحد الجلاوزة يتحدثان في أمر البلاد وحكومتها قال له ذاك انه لو قتل في سوريا عشرة من المسيحيين في يوم واحد حق لاوروبا احتلال البلاد وانتزاعها من يد تركيا قال ان ذلك هين ولدي طريقة اخري لتأييد هذه الغاية قال وما هي قال اني أستطيع أن أحضر مائتي رجل من الذين لا يهابون الموت وأهجم بهم على بيروت وقبل أن تحرق سراي الحكومة تهاجم المنازل فنقتل وننهب ونفعل ما نريد قال انك صائب الرأى وحبذا لو استطعت أن اقيدك في خدمة قنصلي كما كنت في أطنه فان لو اتيح لي ذلك لفعلت معك أفعالا عجيبة تهتز لها البلاد طربا لانها تصبح حرة وتتخلص من ظلامها قال اذن انقل خبري الى قنصلك وتراني رهين اشارته واذا طلب مني رأس كايب وافيته به لأني لا أتوخى الا الفائدة المادية ومهما كانت الحال فاني مادمت قد رهنت لساني معك فلا احجم عن شيء والفائدة التي تعود على تكون مناصفة بيني وبينك قال لأبد أن يكون حضرة القنصل واقفا على أخبارك ان لم يكن كلها فجلها لأنه لا ينفك عن البحث عن الرجال الاشداء المشهود لهم بالبطولة

وحسن التدبير وغدا نتقابل أما الآن فعد الى منزلك وهاك الآن هذا الجنيه لئلا تكون بحاجة الي النقود ثم افترقا

وفي اليوم التالي اجتمعا في قهوة قريبة من حرج بيروت فقال له القواس ان أمر الثورة بات موكولا اليك وسأسير بك الى مكان تخفي فيه رجالك وهو مكان فسيح جدا يسع الف رجل قال ومتى نشعل نار الثورة قال حين يصدر الامر قال ولكن هذا الامر قد يستغرق صدوره أياما طوالا وأنت تعلم بأن من أنا مكلف في جمعهم ليسوا من الموسرين فعلي أن أرضيهم بحيث ابتاع لهم الدخان والخمرة والزاد وزد على ذلك السلاح لمن كان منهم أعزل قال هذا مالا بد من تدبيره وسأعود اليك في المساء بالامر النهائي أما الان فقم الى المكان الذى وقع الاختيار عليه لايواء الرجال . وبعد أن عايناه استلم ابو حمد مفتاحه وعاد أدراجه الى قهوة في المنشية حيث شرب ماطاب له من الخمر حتى أصبحت عيناه بلون الدم وكانت الشمس قد مالت نحو المغيب فوافاه صاحبه الي هناك وانفرد به في ناحية من القهوة وأنقده خمسين جنيها واعدا اياه بأضعافها اذا وفى بوعده فطابت نفسه عند قبض المال وخرج طالبا أعوانه الذين يركن اليهم في ملماته وعددهم ثلاثة حتى اذا وجدهم انفرد معهم في أحدي

الحانات القريبة من فرن الشباك وأطلعهم على ماتم الاتفاق عليه مع القواس ثم انقد كلا منهم خمسة جنيهات ليجمعوا الرجال وبعد انقضاء اسبوع واحد كان عدد المجتمعين يناهز المايتين وكلهم كامل العدة فكان أبو حمد يلقي عليهم التعليمات اللازمة ويمنيهم بكل خير ويوافيهم بصفائح العرق ورزم الدخان والخبز واللحم على قدر مايطلبون ولما انقضي اسبوع على الانتظار حضر القواس وأخبره بأن ما كانوا قد اتفقوا عليه الغي لأن القنصل لم ينل تصديقا على هذا العمل لان وقته لم يحن فعليه أن يصرف الرجال الي أن تنضج المسألة ويتقرر ما يجب اجراءه فغضب صاحبنا لدى سماعه هذا الامر وطلب الى القواس أن يدفع اليه مبلغا ليرضي به من جمع فانقده هـذا مايتي جنيها صرف بنصفها الرجال واحتفظ بالماية الباقية . ولما كان يخشى افتضاح سر هذه المؤامرة فر الي لبنان حيث انفق ما كان معه في السكر ونحوه ولكنه لم يكد يخلو من النقود حتى توصل الي غيرها وسافر الي الاسكندرية ببزة قواس ايراني لانه احتفظ بها بعد انفصاله عن قنصلية ايران في أطنه .

لماذا حضر

غير خاف على القوم ما كان يكتبه المرحوم سليم افندى سركيس في مجلته المشير التى كان يصدرها منذ ستة وعشرين عاما تقريبا ضد الدولة العلية وبعض كبار الحكام وغيرهم في سوريا مما فضح أسرار بعضهم وكشف النقاب عن مخاز كانت طي الخفاء

ففي ذات صباح شوهد شاهين أبو حمد سارحا مارحا في شوارع الاسكندرية فجعل الذين رأوه يتساءلون عن سبب رجوعه اليها بعد أن كاد يقضي عليه فيها فنقل خبره الى جريدة لسان العرب التى كانت تصدر هناك وهذه نبهت المحافظة لعلها تعثر على أوراق التهمة التى فر من أجلها من مستشفى الامراض المعفنة . أما هو فما عتم ان ركب القطار الى القاهرة ونزل في فندق مطل على قهوة اللاوفر في شارع كلوت بك وبينا كان المرحوم سليم سركيس آمنا على نفسه تواردت عليه الخطابات من بعض أصدقائه في الاسكندرية تنبئه بمجيء أبو حمد السفاح الى الاسكندرية وقيامه الي القاهرة وأن لا بد أن يكون موفداً من قبل أحد أعدائه في سوريا للفتك به فعليه أن يتقي شره بما لديه من الوسائط

وفي مساء يوم وصوله صدرت جريدة لسان العرب ناقلة خبر مجيئه ومعلقة عليه بقولها انه بلغنا بأن شاهين ٠رعي المشهور بالفتك قدم هذه الديار موفداً من قبل أحد أرباب الوجاهة في لبنان للفتك بسليم سركيس صاحب المشير فعلى الحكومة أن تلقي القبض عليه وتقيده من حيث أتي

فلم يشعر صاحبنا في اليوم التالي إلا وحضرة مدير قلم الضبط في المحافظة داخلا عليه مع ثلاثة من رجال البوليس فلما سألوه عن سبب قدومه تلجلج وقال اني قادم للنزهة واني تابع لحكومة ايران ثم أراهم بزته الايرانية وسيفه فسأل مدير الضبط قنصلية ايران عنه فأجابت بأنها لا تعرفه وللحال ضبط سيفه وبزته وأرسل الى بور سعيد مخفوراً باثنين من رجال الضبط حتى إذا وصل نقل الي الباخرة التى عادت به الي بيروت

أما محافظة الاسكندرية فلم تتوصل بعد البحث الكلي الى أوراق تهمته لذلك بقيت مطوية ونجي صاحبنا مما كان يتهدده من ظهورها كما نجا المرحوم سليم سركيس من فتكه اذ بات في حكم المؤكد بانه كان قادما لاغتياله لانه أفضي بذلك الى الكثيرين من معارفه كما أفضى بقصة حياته وفظائعه اليهم أيضا مفاخرا بما أتاه

لانه كان يعده رجولية وبسالة ونحن لم نتوصل الى ما نكتبه الا من هؤلاء وقد قال لهم مرة حبذا لو وجدت من أملى عليه سيرة حياتي بحذافيرها لكنت أتقاسم ارباحها معه وهذا كله ممايدل على انه كان ممن يتباهون بجرائمهم غير عالم بان ذلك مما يعار عليه ومما يجب كتمانه . ولما رأت امرأته المسكينة منه ذلك عراها مرض اودي بحياتها فشق موتها عليه لانه كان يحبها غير انه مالبث أن تزوج من امرأة غيرها كانت تملك مالا يقل عن لخمسمائة جنيها بين نقود وأملاك فانفقها كلها فما كان منها الا أن جاءت به الى مصر فجعل يحترف التطبب اذ كان يدعي معالجة كل مرض مهما كان مستعصيا . ولما ضاق به المقام سافر الى أميركا

مكث في تلك البلاد ثلاثة أعوام عالة على أبناء وطنه الذين فتحوا له قهوة وجعلوا يقبلون عليه فكانوا اذا جاؤا مساء وجدوه سكرانا فيجبرهم على دفع الثمن مضاعفا ولما رأوا منه ذلك تخلوا عنه حتى اذا يئس من النجاح عاد الى القطر المصرى وأقام مع زوجته دون أن يسمع عنه شيء وكان قد أصيب بالدوسنطاريا فجعل يعالجها دون أن يتقي مايؤذي من المأكول . ولما شبت نار الحرب الاخيرة طلب أن ترسله السلطة جاسوسا لها فى سوريا متعهدا بأن يوافيها

بجميع أخبار الاتراك بحيث ينقل اليها أخبار حركاتهم وسكناتهم وعدد جنودهم ومدافعهم وما أعدوه من الاستحكامات وأنواع أسلحتهم الى غير ذلك مما تتطلبه الفنون الحربية وبعد أن وقفت السلطة على مبلغ خبرته بتلك البلاد وعلى سيرته الماضية ظنت انها انما سقطت على خير خبير فقبلت طلبه وأرسلته مع رفيق آخر يائس من الحياة ، راغب فى انقاذ بلاده من الظلم الذى باتت فيه ومن المجاعة التى اودت بحياة الالوف من السكان على مشهد من الحكام الظالمين . فنقلتهما بارجة حربية الي مكان يقال له السعديات قريب من معلقة الدامور فانزلتهما هناك فى زورق بعد أن زودت كل منهما بفانوس صغير ومسدس ولما بلغا البر افترقا فسار شاهين الى الدامور ورفيقه الى جونيه

أما رفيقه فلم يكد يظهر حيث وصل حتى صار القاء القبض عليه وبعد أن أخذ اقراره جلد جلدا شديدا مؤلما وأرسل الى مجلس عاليه العرفى فحكم باعدامه وفى اليوم التالى شنق وقد اشيع بأن شاهينا هو الذي نم عليه وانه قابل جمال باشا وأخبره بانه منتدب من قبل الانكليز لتجسس الاخبار فى سوريا وانه سر بهذا الانتداب لينقل الى دولته أخبار الانكليز لانه ممن يغارون على

حكومتهم التركية ولانه من أبناء سوريا الذين لم يخونوا دولتهم قط

أما هو فيقول بأنه جمع ما جمع من الاخبار وجاء الى صخر في جهة السعديات وأقام أمامه منتظراً مرور البارجة التي أقلته ليدفع اليها ماجمع غير أن البارجة لم تمر وأن النور الذى كان يبرزه أحيانا للنظر الى البحر لاكتشاف الباخرة هو الذى نم عليه وانه بريء من تهمة تسليم رفيقه براءة الذئب من دم ابن يعقوب وأن لديه اثبات على ذلك هو أن الجنود المحافظين قبضوا عليه في السعديات وهو رافع النور ليرقب البارجة واستاقوه الي سجن بيروت حيث اذاقوه مالا يطاق من العذابات لانهم علموا انه قدم من مصر للتجسس لا لنقل أخبار الاعداء الي رجال الدولة العثمانية وهاك ماقصه على الذين سألوه حين عودته الي مصر بعد أن وضعت الحرب اوزارها قال

لما ادخلت سجن بيروت المخصص للذين يحكم المجلس العرفي باعدامهم عريت من أثوابي ثم هجم علي أربعة وربطوا يدى ورجلى بالحبال وجعلوا يضربونني بالسياط حتى سال دمي وكانوا كلما ضربوني يسألوني عما أعرف من أخبار الحلفاء فكنت أجيبهم بأني لا أعرف شيئا عما تسألوني واذا أردتم فاني مستعد لتجسس أخبارهم حيث ترسلوني فلم يكن هذا القول الا ليزيدهم حدة وشدة فيعيدون

على السكرة الى أن اغيب عن الصواب وحين كان يعود الي رشدى لم أكن أجد أمامي الا ابريقا قذرا وقليلا من الخبز الناشف المصنوع من مزيج من دقيق الشعير والكرسنة والنخالة مما تعافه النفس.

وفي ذات يوم دخل على ضابط برتبة يوزباشي محاطا باثنين من الرجال الاشداء فامر لدى دخوله بأن يوصد الباب فايقنت حينئذ بانه انما جاء لتعذيبي فتجلدت على قدر الاستطاعة ريثما أرى مايكون وبعد ماجلس على كرسيه دعاني اليه وقال ما اسمك؟ فاجبت شاهين قال شاهين ماذا؟ قلت شاهين مرعى قال ومن أين أتيت الي هنا؟

— من الدامور

— وماذا كنت تفعل هناك؟

— لا أعمل سوى الشغل فى الارض أو فاوريقة الحرير

— ومن يعرفك فيها؟

— جميع سكانها وخلافهم

— أين وجدك الجنود حتى قادوك الي هنا؟

— في السعديات

— وماذا كنت تفعل هناك ليلا والفانوس مشعل في يدك

مع الاوامر بعدم ايقاد الانوار لا في المنازل ولا في غيرها مشهورة لدي الخاص والعام ؟

أعلم ذلك ولكن الجوع حمانى على الوقوف كذلك لعلى أرى أحداً يمن على بكسرة من الخبز

— ومن أين لك هذا الفانوس ؟

— وجدته ملقى على قارعة الطريق

— طالما مررت فى الطرق فلم أجد مثله فاصدق بقولك

— ليس لدي فوق ما قلت

— وهذا المسدس من أين أخذته ؟

— اني أحمله منذ أربعة أعوام أو أكثر

— ولكنه جديد وهو من أسلحة الجيش

— انه جديد لاني لم استعمله

— كذبت لانك أتيت من القطر المصرى على البارجة الافرنسية التى تمخر عباب البحر أمامنا في كل يومين أو ثلاثة وكان وصولك فى اليوم الخامس والعشرين من هذا الشهر مع رفيق آخر لاقي حتفه على أثر خيانته أما أنت فاحتجبت عن أعين الرقباء ثلاثة أيام بلياليها حتى اذا ظهرت حيث وجدوك اقتادوك الى هنا

فماذا تقول في ذلك ؟

— لا أقول الا انى من المخلصين لدولتى التى أسأل لها النصر والفوز على أعدائها واني من سكان هذه البلاد ولا أعرف القطر المصرى ولا الانكليز واني مستعد لخوض غمار الحرب مع الجنود المحاربة

— انك من الافاقين ومشاهير اللصوص فلا تحاول أن تخفي أمرك فقل الحق والا أنزلت بك أشد ماتتصور من العذاب

— عذب ماشئت فان ذلك يدار عليك لأن الدولة لا تظلم عبيدها المخلصين

— قلت لك لاتحاول الانكار ولا تتظاهر بما لست فيه فأنت شقي مشهور وليست هذه بالمرة الاولي التى دخلت فيها سجن الحكومة . فقل ماهو عدد الجيش الذى جاء لمهاجمة جيشنا فى غزة وما هو سلاحه ومدي مرمي مدافعه ؟ أجب

— من أين لي أن أعرف ماتسألني عنه . فأنت أدري بذلك مني وكل ما أعرفه ان جيشنا الظافر دخل القطر المصري أوكاد والقي الانكليز في البحر والبرهان على ذلك الزينات التى اقيمت أخيراً في جميع انحاء البلاد .

— يالك من أفاك منافق فسوف تري مايحل بك. ثم أمر رجاله بان يقيدوني حتى اذا عملوا أمرهم برفعي على كرسى كان تحت حبل معلق فى السقف فقال ضعوا الحبل فى عنقه فلما صدعوا بالامر التفت الي وقال والآن هل تبوح بما كتمت حتى الآن أم أشنقك

— لك أن تفعل ماشئت مادمت تأبى سماع ما أقول وفضلا عن ذلك فان موتى خير لى من الحياة معذباً فعجل إذا شئت بقتلي وأرحني من هذه الحياة المرة المملوءة بالعذاب . فالتفت الى رجاله وقال مدوهُ على الارض وأجلدوه . وللحال القوني على ظهرى ورفعوا رجلي فى الفلق وجعلوا يضربونني بالسياط حتى تناثر لحم قدمي واغمي علي فرشوا الماء على وجهي وتركونى بين حي وميت ولم زالوا يعاملوني هذه المعاملة مدة ثلاثة شهور حتى إذا يئسوا من اقرارى قرروا نفيي الى اشقودره

المنفى

أتانى سجاني في صبيحة أحد الايام والبرد يكاد يهرأ الابدان وأمرنى بالخروج فخرجت وأنا أتمايل يمنة ويسرة لتورم قدمي فاذا بجنديين ينتظرانني أمام الباب فسرت بينهما الى أن بلغنا نقطة على البحر فوجدت حوالي العشرين من المحكوم عليهم بالنفي

وقوفا هناك بين الجنود الشاكي السلاح ولوائح الموت على وجوههم
وإذ ذاك صاح صائح المسير فسار هؤلاء وأنا معهم والجنود محيطة
بنا فقضينا في سيرنا هذا شهراً أو أكثر لا أعلم والبرد القارس
يكاد يهلكنا لان الدم كاد يقف في عروقنا حتى اذا بلغنا اشقودره
صدر الامر الينا بالتفرق في البلدة وأن نبكر في كل يوم الى القشلة
لقيد أسمائنا وأخذ الجراية المعينة لكل منا

فكنت أسير في صباح وأقيد اسمي وآخذ جرايتي
وقد صادفني انى بينا كنت عائدا بجرايتي ذات صباح والثلج يتساقط
أصابني دوار لشدة البرد فسقطت في مكاني ولما افقت وجدت
الجراية على صدري فجررت نفسي جرا حتى اذا بلغت محل اقامتي
رقدت متلويا تلوي الثعبان لشدة الالم الذي شعرت به في جوفي
لان الدوسنطاريا تمكنت مني ايما تمكين وكان في اشقودره
كثيرون من كبار اللبنانيين منفيين معي وكلهم من علية القوم وبينهم
سيادة المطران المرحوم يوسف دوماني فسرت اليه شاكيا امري
فمدني رحمه الله بمعونته على قدر الاستطاعة وجعلت أجرع الشاي
على قدر ما استطعت حتى اذا شعرت ببعض الراحة عدت الى مقري

ولقد شاهدت أثناء سيري الى المنفى فظائع تقشعر منها

الابدان فان الجنود التركيـة كانت مكلفة قطع دابر الارمن لذلك كانوا لا يرحمون منهم كبيراً أو صغيراً وكانوا يتفننون في قتلهم تفننا غريبا بحيث كانوا يدفنون البعض أحياء ويبقرون بطون الحبالى ويلقون الاطفال في النار ويفضحون العذارى ثم يبقرون بطونهن الى غير ذلك من الفظائع التي تقشعر منها الابدان نعم اني قتلت الـكثيرين ولـكنى لم أكن آتي مثل ما توه . وكان الجوع ضاربا أطنابه في اشقودره وجهاتها لذلك كنت أستطيع أن أبتاع ما اردت بجراتى وكان الاغنياء من المنفيين لا يدخرون مالا في سبيل اسعاف المحتاجين على اختلاف أجناسهم وأديانهم

وقد رأيت بين المنفيين فتاة بلباس الرجال تـكاد تجن من الحزن ولما سألتها عن حكايتها قالت انها من قرية بتاتو وان الاتراك قتلوا شقيقها وأن أباها مات جوعا مع شقيقتها الصغيرة أما والدتها فنفرت على أثر قتل ولديها الي الجبال ولما رأت هي ماحل بالعائلة تزيت بزي الرجال وجعلت تشن الغارة على الجنود التي كان معهودا اليها بالمحافظة على الشواطيء البحرية وترميهم بالرصاص حتى ثأرت لشقيقيها وبينا هي سائرة ذات مساء اعترضتها كوكبة من الفرسان فالقوا القبض عليها لانها كانت مسلحة فظنوها رجلا وأتوا بها

الي المنفى ولكنها ستبذل مانستطيعه من الجهد في سبيل الفرار الي أن تعوز لانها آلت على نفسها بأن لاتعود عن الانتقام من قاتلي شقيقيها أنفسهم وطلبت الى أن اخاطر بحياتي معها فاكبرت أمرها وصغرت نفسي أمامها وأنا ممن لايهابون الموت وجها لوجه وماذلك الا لما كابدته من العذاب المر في سجن بيروت والسير منه على الاقدام تحت وابل الامطار والثلوج الى منفاى وفضلا عن ذلك فان السياط قد فتحت اقنية فى ظهرى وأكلت ما أكلته من قدمي لذلك رأيت ان الاعتذار بالمرض أولي من ركوب متن الخطر الذى كانت عازمة علي ركوبه . فقلت لها اني لو كنت مالكا لعافيتي لما تأخرت عن السير معك لان ماقاسيته من هؤلاء الاقوام يفوق حد الاحتمال غير انى اكظم غيظى وأتظاهر بضد ما أنا عليه الي أن تضع الحرب أوزارها وأعود الى بلادى . فقالت أن الرجال يجب أن يكونوا رجالا فى الحرب لا فى السلم فقط فاذا جبنت وأنت المشهور بقوتك البدنية وصلابة قلبك فاذا أفعل وأنا فتاة لا رجل فلقد كان يجب أن يكون الجبن من نصيبي لا من نصيبك فاخجلني كلامها هذا وأجبتها ان الموت بات بعد كلامك هذا حقيرا أمامي فاعدي العدة وقرري موعد الرحيل فاسير معك الى حيث

تشائين . قالت لك ذلك وأنا الآن أتحين الفرصة المناسبة فعليك إذا بقيت على عزمك أن تجتمع بي في هذا المكان بعد حصولك على جرايتك وان استطعت أن تجمع غيرها من الجرايات فلا تتأخر لأن الطريق أمامنا طويلة والمسافة شاسعة والارض جرداء لم تزرع إلا بجثث الالوف من الارمن المساكين ولم تروى إلا بدمائهم ودماء بني وطننا فأهاج كلامها هذا كامن حقدي ووعدتها وعد حر يبذل حياتي في سبيل ارضائها فقالت عليك قبل كل شيء أن تتسلح حتى اذا تعرض لنا أحد من الجند قتلناه واذا كان المعارضون كثيرين قاومناهم وفررنا بالنجاة واذا قتلنا ذهبنا الي حيث ذهب من تقدمونا من أبائنا وأخوتنا . قلت لك ذلك وسأتدبر في الحصول على سيف ومسدس واذا عز على الحصول على ذلك اكتفيت بالعصا ومتى صرنا خارج البلدة فأول جندى أصادفه أشج رأسه بعصاي وأملك سلاحه وبزته وأتزيا بزيه قالت وأنا أملك هذا الخنجر ثم استلت خنجرا من صدرها فاذا المنية تلوح من حديه ثم افترقنا على أن نجتمع في اليوم التالي

ولما كان المساء سرت الى منزل أحد معارفي من المنفيين وتناولت العشاء معه وحوالى الساعة العاشرة عدت الي مكاني ورقدت حتى

الصباح وكانت الدوسنطاريا قد فارقتني تقريبا ولما سرت لاخذ الجراية أعملت الفكرة في ما اتفقت عليه مع الفتاة وعدت وأنا عازم على الفرار غير أن الحيرة في أمر السلاح تملكتني لان عليه مدار حياتي التي كانت عزيزة علي ولم يزل هذا الامر شغلي الشاغل مدة أسبوع وفي اليوم الثامن منه رأيت جنديا يدفن شيئا في الارض المحاذية للطريق التي كنت مارا فيها فتباطأت في السير الى أن فرغ من عمله وعاد من حيث أتى فسرت الى ذاك المكان لارى ما خبأه فاذا هو قرطان من الماس ومدية طويلة قبضتها من الفضة وزوج اساور من الذهب فوضعت الاساور والقرطين في جيبي والمدية في حزامي من الخلف وسرت الى مأواي والسرور آخذ مني ماخذه خصوصا لاني بت أملك خنجراً يعادل عندي ملك كسري انوشروان ولم أزل أجتمع بتلك الفتاة وأدرس معها طريق الفرار مدة اسبوع ثم قررنا الرحيل في آخره ولو حال دوننا سد الاسكندر غير أن أخبار انكسار الجيش التركي في فلسطين وسوريا كانت قد انتشرت اذ جملت فلوله تمر في منفانا ووجهتها الاستانة وقد تبعها الذين كانوا مقيمين على المحافظة حيث كنا فحمدنا الله على نجاتنا من هذا الاعتقال الذي خلنا كل يوم منه عاما وكل عام جيلا وكان سكان

اشقودره أنفسهم قد ملوا تلك الحال التي رخصت فيها النفوس لأنهم لم يكونوا يرون سوى السيف والنار ولكنهم ثروا بالاسلاب التي سلبوها من منازل الارمن بحيث كانوا يعرضون الطنفسة الكبيرة من صنع شيراز بريالين . فعدت الى بيروت مع من عادوا وأنا غير مصدق بالنجاة وبعد وصولي بيومين عرضت أمري على السلطة الانكليزية بعريضة طويلة شرحت فيها حكايتي طالبا منها المكافأة فما كان منها إلا أن أعرضت عني اعراضا تاماً مدعية بأني خنتها وأسلمت رفيقي الذي قدم معي من مصر الى جمال باشا وزمرته بعد أن أوقفتهم على سبب مجيئي معي وكيفيته وعلى ما أعرفه من أسرارها رغبة في المكافأة التي كنت طامعا بها

ولما أردت أن ابرهن لها على براءتي من هذه التهمة قالت عد إذا أردت الى مصر وبرهن للقائد الذي أرسلك على صحة ماتدعيه وعريضتك تسبقك اليه . غير ان جمال باشا أخطأ في ابقائك حيا لأنك خائن والخائن يعدم شرعا فضاقت الدنيا في وجهي على رحبها وبت لا أدري ما أفعل وكان بين الفرنساويين القادمين مع الانكليز بعض الشبان السوريين فطلبت اليهم أن يتوسطوا لي في الانتظام معهم لخدمة البلاد لأني من الخبيرين في مسالكها

ومخارجها وللقائد أن يسأل عني من شاء في بيروت فرفع بعضهم أمري اليه حتى اذا رآني أمرني بأن أعود اليه في اليوم التالي ليستفهم عن هويتي ولما عدت طردني طردا شنيعا فعلمت أني أسقطت في يدي فبحثت عمن كنت أعرفهم من القضايات فاكروني واذ ذاك بعت القرطين اللذين وجدتهما في اشقودره بما يعادل ربع ثمنهما أي عشرين جنيها وركبت الى مصر

عاد الى مصر وقد ثقل سمعه في وكان يحمل سماعة من الزنك شبيهة بالبوق فكان يضعها على اذنه عند الاصغاء الى مخاطبه وبعد وصوله بايام ذهب الى مركز السلطة ليعرض عليها أمره فوجد التقرير الذي قدمه في بيروت قد سبقه اليها فأمرته بان يحرر لها تقريرا غيره يفصل فيه رحلته فاستعان على ذلك بأحد النابغين بالانكليزية حتى اذا صار التقرير في يده عرضه عليها فامرته بالتريث ريثما تدرس ماجاء فيه وبعد أن قضي شهرا في الانتظار عاد لمعرفة الجواب .
فقابله الكاتب الذي استلم تقريره وأخبره بأن السلطة تعتبره خائنا وانها تصفح عن خيانته لانه ليس انكليزيا وهي اذا كانت قد خدعت باقواله فالذنب ذنبها اذ كان يجب أن تسأل عنه قبل ارساله وعليه فهي لا تعرفه ولا تريد أن يذكر اسمه أمامها .

فضرب على أثر ذلك اخماسا في اسداس وصمم على أن يرفع أمره الى أحد المرسلين الانكليز المشهورين بالطيبة ولين الجانب والصدق واستعان به على قضاء حاجته فصدقه حضرته ورق له ووعده خيرا بعد أن نفحه بشيء من عنده ولكن هذه الوساطة لم تجده فائدة لان السلطة كانت معتقدة اعتقادا ثابتا بخيانته وانه هو الذي كان سببا في قتل زميله المسكين ونقل أخبارها الحربية الى جمال باشا أملا فى الحصول على المال منه . ولما قطع حبل امله من النجاح جعل معوله على التدجيل فى التطبيب وعلى طلب المساعدة من الذين يعرفهم غير أن جميع الذين يعرفونه كانوا ينفرون منه لاضنا عليه بالمساعدة بل اجتنابا لمعاشرته خشية أن يتهموا بالاشتراك معه اذا ارتكب جنحة أو جناية لان من شب على خلق شاب عليه ولما ضاقت سبل العيش في وجهه سافر الى الخرطوم أملا فى احتراف حرفة يكتسب بواسطها رزقه فاقام هناك حوالي الستة شهور عاد في نهايتها وارم الجيب وعاد الي لبنان حيث جعل يتردد على الذين كان ذا علاقة بهم فيقضي أغراضهم وينفذ مآربهم فكانوا يثقلون يده أحيانا ويتوارون عنه تارة اخرى ولم يزل على هذه الحال مدة عام تقريبا

ومما شاع عنه انه حضر مرة الي المنصورة فكان يشفي من التشويش ويعطي علاجا للحمل فكثر تردد النسوة عليه وربح منهن أرباحا طائلة ولكنه كان ينفق فى الليل مايربحه فى النهار لانصرافه الى ملذاته

ولقد غره مرة مارآه فى زند احدى المومسات من الأساور إذ ظنها من الذهب فذهب بها الي بقعة على شاطىء النيل محجوبة عن الانظار بما نبت حولها من الاشجار وجعل يعاقر الخمر معها ومع صديق له كان قد دعاه الي تلك البقعة حتى اذا سكرت المرأة استل خنجره قاصداً ذبحها وسلب ما عليها من الحلي فمنعه زميله عن ارتكاب هذه الجريمة بعد أن أفهمه بأن كل مافى يديها انما هو من النحاس لا من الذهب ولولا ذلك لذبحها ذبح النعجة

ولم يكن يصحبه هناك الا اللصوص ولا عجب فى ذلك لأن الطيور على أشكالها تقع

ولقد خرج مرة من دمشق ممتطيا جواداً الي لبنان فاعترضه ثلاثة من فرسان العرب وهجموا عليه بسيوفهم وهم يقولون سلم تسلم فتظاهر بالجبن ونزل عن متن جواده وهو يمد يده الي عبه كمن يريد أن يخرج مامعه من النقود ليسلمها لمن يطلبها فأغمد الفرسان سيوفهم

منتظرين خروج يده بالمال غير انهم ماعتموا ان رأوا الرصاص يتطاير من طبنجته الي صدورهم فخر اثنان قتيلين وأما الثالث فعمل المهماز في شاكلتي جواده وفاز بالنجاة فأخذ ماوجده مع القتيلين من النقود والسلاح وسار بجواديهما الي بيروت حيث باعهما أربعين جنيها وحال وجوده في دمشق كان في ضيافة رجل مشهور المروءة وحسن السيرة واكرام الضيف إذ قبله على الرحب والسعة وخصص لرقاده الغرفة التي حفظ فيها نقوده إذ كان قد جعلها في صندوق متين علق مفتاحه في عنقه فما كان من شاهين الا أن قابل مروءة الرجل بضدها لانه كان قد عرف اخلاقه نظرا لشهرته الطائرة اذ فتح ذلك الصندوق بمفتاح مصطنع وأخذ ما كان فيه من النقود والحلي المرهونة وخرج عند الفجر على جواده ولما هب الرجل صاحب البيت من رقاده انتظر ضيفه ليشرب القهوة معه ولما طال عليه الوقت خرج لايقاظه فقرع الباب مرارا على غير طائل فظن انه غارق في النوم فاقام على انتظاره ساعة حتى اذا يئس من مجيئه فتح الباب فاذا الغرفة فارغة فساورته الظنون السيئة حينئذ وسار الى الصندوق بغية افتقاد مافيه فوجده مفتوحا والنقود والمصوغات مسروقة فصاح صياح المستجير نادبا حظه وبيته لان ماسرق كان

كل ما يملك وفضلا عن ذلك فان المصوغات ملك لواهبيها فرفع الامر الى الحكومة وسار بنفسه للبحث عنه في بيروت ولبنان غير انه لم يعد الى بيته الا بخفي حنين نادما على قبوله أناسا لا يعرفهم في بيته . أما المصوغات فباعها شاهين في سوق الصاغة في بيروت بابخس الاثمان كما باع الجوادين

ولقد عزم السجان مرة على قتله بالسم وهو في سجن بيت الدين تنفيذاً لامر أحد كبار المأمورين إذ ذاك فأذاب له السم في كأس من اللبن وناوله إياه فلما جرع من اللبن جرعة صغيرة أدرك انه مسموم فجعل أصابعه في زلعومه وتقيأ ما جرع فنجا من الموت

ومن خصاله انه كان إذا أفلس لايراعي قريبا أو صديقا يمسك عنه يده بل كان يهدده بالقتل ولو كان ابن امه لذلك لم يكن يركن اليه لانه كان سريع الغضب سريع البطش

ولقد سطا ذات ليلة على مخزن لبيع الاجواخ في بيروت مع اثنين من رفاقه اذ فتحوا بابه بمفتاح مصطنع وحملوا ما استطاعوا حمله الي قارب في البحر وساروا به الي صيدا وصور وباعوه بأبخس الاثمان . وكثيرا ما كان يقطع الطريق مع واحد أو اثنين من رفاقه ويسلب المارة واذا قاومه أحدهم قتله

تعيينه بوليسا

كان الامير مصطفى أرسلان ونسيب بك جنبلاط يتناوبان قائمقامية الشوف وحدهما وكان لكل منهما حزب معارض لحزب الاخر لذلك كان اذا عين الامير مصطفى يقوم بعض رعاع الحزب الاخر ويعكرون صفو الامن بغية حمل متصرف لبنان على اعادة قائمقام حزبهم المعزول الى كرسي القائمقامية وكان شاهين ينتمي الى الحزبين لان غرضه الوحيد كان أخذ المال فكان اذا عين الامير مصطفى يأتيه مهنئا ومقدما ذاته لخدمته وكذلك كان يفعل مع نسيب بك

فخطر لهذا الاخير أن يعينه بوليسا متجولا لمنع حوادث القتل والسلب التي يأتيها حزب معارضه فاغتنم هذه الفرصة التي لايسمح الدهر بمثلها لابتزاز النقود من الاغنياء الذين يعرف انهم ممن يميلون الى الامير مصطفى مهددا أياهم بتهمة ارشاء الرعاع ليقطعوا الطرق على السابلة وحين كان يحرز النقود كان يجلس فى القهاوى والحانات ويأخذ فى السكر مع الاصدقاء الذين يختارهم ولما انكشف أمره الى القائمقام عزله تخلصا من شره . فانحاز على الاثر الى حزب

الامير مصطفى غير أن المشار اليه كان من أرباب الاراء الصائبة والعقول الراجحة فلم يكن يركن اليه أو يعيره التفاتا ويكتفي اعطائه ما يتيسر على سبيل الانعام . فاسقط حينئذ في يده وصار يكمن وراء صحراء الشويفات ويسلب المارة مع اثنين من زمرته فضج الاهالى من تلك الحال واستغاثوا بالقائمقامية فارسلت هذه كوكبة تامة العدة للقبض على اللصوص وقطاع الطريق في الجهة المذكورة فكمن هؤلاء في مكان قريب من مربضه حتى اذا رأوه ينقض على مركبة كانت قادمة من صيدا ليسلب ركابها أحاطوا به من كل جانب وشدوا وثاقه وحملوه الى بيت الدين حيث اودع السجن وبعد انقضاء عام عليه خرج فصادف فى الطريق المودي الى جزين رجلا صاعدا الى بعقلين فاستل خنجره وأغمده في رأسه ثم بحث في جيوبه فلم يجد سوي ربع ريال . ومما كان يقوله ويفتخر به أن عدد قتلاه قد تجاوز التسعين وأن لابد من أبلاغهم المائة . والعتب في تماديه هذا على الحكومة لانها لم تكن تستطيع أن تثبت عليه جناية واحدة وما ذلك الا لضعف مراقبتها وقلة عنايتها فى المحافظة على الارواح . ومن خصاله أيضا انه اذا علم بوجود من قد يكون أشد منه كان يحتال عليه ويفتك به

قتل زوجته الاولى وشقيقتيها

هذه الحكاية قصها على راويها بعد انقضاء عشرين عاما
على حدوثها

قلنا فى احدى الفصول المتقدمة انه تزوج فى يافا وقدم الى الاسكندرية مع زوجته وشقيقتيها حاملا البائنة التى أخذها منها ونزل في منزل مؤثث في سوق الكانتو وجعل يخرج في كل يوم معها وهي مصحوبة بالشقيقتين الى النزهة فى جهة المحمودية وكان في نيته أن يتخلص منهن فيبقي حراً طليقا ولما لم يجد حيلة لذلك سوى قتلهن سار بهن ذات مساء الى النزهة حسب العادة وجعلهن فى مكان محجوب وصار يجرعهن الخمرة جزافا بعد أن يضع فيها المخدر حتى غبن عن الرشد

وبعد انقضاء ثلاثة أيام على هذه الحادثة ظهر في يافا وفى يده مظروف كبير مدعيا بأنه مسافر الى أزمير في مهمة رسمية أوراقها في المظروف الذي كان يحمله وانه لم يأت يافا إلا ليرى بيت عمه ويطمنهم عن بناتهم وكان باقيا له من البائنة التى تقرر أخذها مع عروسه خمسون جنيها أنقدوه إياها بعد أن أخبرهم بأن بناتهم

بكل خير وانه لايلبث أن يأتي بهن اليهم بنفسه في أوائل الصيف ثم سافر مشيعا بالدعاء وحاملا توسلات والدتهن بأن يعدهن كأخواته

ولما جاء الصيف كتب هؤلاء اليه بالعنوان الذي تركه لهم الى الاسكندرية ولما لم يأتهم جواب كرروا الكتابة ولكن على غير طائل فسافر شقيق اولئك المنكودات الحظ الي الاسكندرية وبعد أن دقق البحث علم أن صهره الشقي من السفاحين المشهورين وأن ليس من يعرف مقره ولا يبعد أن يكون قد فتك بهن بعد عنهن فعاد المسكين الى يافا حاملا هذا الخبر المشؤم الذي انقض على والدته وباقي أفراد العائلة انقضاض الصاعقة ولزموا على أثره النوح والعويل والندب . وعبثا تعبت الحكومة في اكتشاف مقره لانه لم يكن يقر له في مكان قرار كانه نسر لايكون الا حيث تكون الجثث . فياله من شقي ضجت الارض من فظائعه وهو يمرح فيها على هواه دون أن يحاسب على ما اقترفته يداه . والذي زاد الطين بلة دوام افتخاره بجرائمه كانها من أعمال البطولة التي ترفع قدر الرجال وتكسبهم شرفا وهذا منتهى الحماقة والجهل فكأنه كان شيطانا مريدا أو نمرا مفترسا لا يلذ له سوى شرب الدماء .

ولو لم يرتكب الا هذه الجريمة المثلثة لكفي أن يقتل من أجلها ثلاث مرات بل مائة مرة ولكن من ذا يعد ويحصى وقد بلغ السبعين من عمره وهو هو لم يتغير من أخلاقه شيء كأنه من نطفة غير نطفة البشر أو كأنه رسول قابض الارواح الذي لا يرحم ايما أو طفلا أو شيخاً

هذا ماتناقلته السن عارفيه عنه نرويه على علاته وقد فات هؤلاء الناقلين كثير من جرائمه لذلك لم نستطع جمعها وماتقدم كاف للعبرة والدلالة على اخلاق هذا الوحش الضاري

سرقة مخزن

سرق مرة مخزن أجواخ فى صيدا فاتهم صاحبه شاهينا بسرقته فأرسلت الحكومة ثلاثة من رجالها في طلبه ولكنهم لم يعثروا عليه وقد اتضح بعد مرور شهرين على هذا الحادث ان هذا الشقي نقل المسروق الى عكا وباعه بأبخس الأثمان

مكوثه بحيفا

افتتح أحد رجال عائلة الحداد فندقا فى حيفا فكان شاهين أول النازلين فيه اذ كان يأكل وينام مدة شهر كامل دون ان يدفع شيئا

وليته اقتصر على هذه الدفعة بل كان كلما مر في حيفا يحل ضيفا ثقيلا على صاحب هذا الفندق الذي كان يتظاهر بالرضي عن مجيئه اليه خوفا من غدره

جريمة كردية

دخل دمشق ثلاثة من الاكراد قاصدين بيع ماجاؤا به من الاغنام وبعد ان مكثوا فيها أسبوعا باعوا ماكانوا جلبوه وعادوا على خيلهم الى بلادهم القريبة من حلب فمروا على خان مهجور قائم في بقعة مقفرة كان أحد الولاة قد أنشأه لراحة المسافرين ولما هجر تهدم معظمه غير أن مرابط الخيل كانت لاتزال سليمة فيه مع بعض الغرف . فدخلوه بغية قضاء الليل فيه ابتغاء للراحة وفي صبيحة اليوم التالي مرت قافلة من هناك قادمة من حلب فوجدت الرجال الثلاثة مذبوحين من الوريد الى الوريد وخيلهم لاتزال مربوطة في مكانها فطيرت الخبر الي الحكومة التي ماعتمت ان أرسلت رجالها في طلب المجرم ولكن على غير نتيجة وقد علمت من التحريات ان القاتل كان واحداً لأنه شوهد في ليلة الحادث خارجا من الخان خروج مذعور وثوبه ملطخ بالدم وعلى جنبه خنجر ماضي الحدين

ثم ثبت ان ماكان يحمله هؤلاء الاكراد انما هو الف جنيها وان القاتل عرفهم في دمشق كما عرف ماكانوا يحملون ولكثرة جرائم شاهين نسب بعضهم هذه الجريمة اليه أيضا غير ان وقوعها كان وشاهين لا يزال دون العشرين من عمره

سرقة ثورين

مر ذات مساء في قرية عرمون فوجد ثورين تركهما صاحبهما في الحقل وأمامهما العلف فما كان منه إلا أن حل رباطهما واقتادهما الى معلقة الدامور وباعهما بست ليرات وتوارى عن الانظار

ولما افتقدهما صاحبهما في الصباح ولم يجدهما جعل يسير من بلدة الى اخرى للبحث عنهما وهو يكاد يقتل نفسه لشدة كدره لأنه كان من الفلاحين الذين تتوقف حياتهم على شغل ماشيتهم

أما الذي اشترى الثورين في المعلقة فربطهما مع مواشيه للنشارين ولما وصل صاحبهما الى الدامور وقف بعد البحث والتحري على مكانهما فذهب الى شيخ الناحية وأخبره بأنه وجد ثوريه المسروقين مع مواشي فلان طالبا اليه ردهما اليه وإلا رفع الامر الى الحكومة فأرسل الشيخ في طلب الرجل ولدى الاستفهام منه

عن كيفية وصول الثورين اليه أجاب بأنه ابتاعهما من رجل بدوى لا يعرفه وانه دفع في نظير الحصول عليهما ست ليرات بعد المساومة فقال له الشيخ ان صفقتك جاءت خائبة ياهذا لأن الثورين مسروقين وهما ملك لهذا الرجل فعليك أن تردهما اليه وإلا فلاسبيل لاخلاء سبيلك لأن تهمة السرقة لاصقة بك إلا إذا أحضرت السارق الذى تقول انك اشتريتهما منه . فلما وجد هذا نفسه واقعاً فى الفخ رأي ان تسليم الماشية خير من دخول السجن لأنه يعجز عن معرفة البائع وهكذا عاد الثوران الى صاحبهما

سرقة فرس

كان لأحدهم فرس فى جهة الغازية مربوطة أمام الباب فجاء صاحبنا وكسر قيدها بعد أن وضع السرج على ظهرها وسار ينهب الارض على متنها نهبا الى أن بلغ مدينة صور التى ارتكب أول فظائعه فيها وباعها بثمن بخس فى احدى القرى المجاورة للمدينة المذكورة . أما صاحبها فلما أعيته الحيل فى البحث عنها على غير طائل لزم السكون والتسليم الى الله

خرج يوما من سراي نسيب بك جنبلاط بالمختارة ومر بقرية

بكاسين فصادف في طريقه عند نهر هناك رجلا في ظل شجرة يستريح من عناء السير فتهدده بالقتل ان لم يعطه مامعه فما كان من ذلك المسكين وقد رأى الموت ينظر اليه بعين الطبنجة الموجهة الى صدره إلا أن أفرغ له ما كان في جيبه مبتاعا به حياته . أما هو فواصل السير الى قرية تدعى الميوميه بجوار صيدا حيث قضى ليلته عند أحد معارفه هناك حتى إذا لاح الفجر كان في حريته الى صحراء الشويفات ولم يكن يسير إلا ملفوفا بعباءة وملثما بكوفية مربوطة بعقال على رأسه بحيث يظنه من يراه بدويا من أواسط البادية وإذا طارحه أحد السلام أجابه عليه بلهجة بدوية صرفة

وكان له في الدامور أصدقاء ينزل عليهم حين ابتغاء الراحة فكانوا يقابلونه بالترحاب لا حبا به بل اجتنابا لغدره وبطشه وكان أحيانا كثيرة يجالسهم لشرب العرق على نفقته ذلك حين يكون جيبه وارما على أثر سلب أحد أو قتل غيره

هو ومحيي الدين

كان في صيدا شاب قوي البنية شرس الخلق يدعى محي الدين الواوي فاتخذه شاهين صديقا وحاول ان يغريه على قطع الطرق معه

وحين رآه غير ميال الى ذلك طلق صحبته واتخذ الخراب عنه بديلا وسرق معه مسجد النبي يحيي القائم على رابية عالية تجاه صيدا وكانت هذه آخر غزواته مع الخراب لأن الحكومة قبضت على هذا الاخير وبعد ان ثبتت عليه جرائم شتى علقته بحبل الشنق اما هو فلم يثبت عليه شيء

خيرا تعمل شرا تلقى

ومن فعاله التي تقابل بالاستهجان لسفالتها وقابلها زملاؤه الاشقياء بالاطراء انه حل ذات مساء ضيفا ثقيلا على حضرة الوجيه المشهور سعيد بك البستاني فأكرم وفادته اتباعا لما جبل عليه من المروءة وكرم الخلق ولما أصبح حمل معه عباءة ثمينة كان مضيفه قد علقها في الغرفة التي خصصها لمبيته في تلك الليلة مع بعض الاسلحة التي كانت معلقة الي جانبها وكان ذلك لم يكفه فحاول ان يضيف اليه الفرس التي كانت مقيدة في اسطبلها غير انه لم يستطع لأن تلك الفرس الكريمة جفلت اذ رأته وأبت الخروج معه فاضطر الى السير دونها قبل أن يراه أحد في الاسطبل قائما بما عزم

ولعل ما أتاه ينعته عنده مقابلة الجميل بمثله

احدى مننه

كان مرة يقطع الطريق بين بيروت والدامور ومتخذاً صحراء الشويفات مقراً فاتفق ان مر سعيد بك البستاني فى تلك الصحرا وهو على فرسه فلما رآه شاهين عن بعد قرر سلبه فكمن وراء شجرة ضخمة حتى اذا وصل البك هجم عليه والطبنجة فى يده غير انه ما عتم ان تراجع عنه دون ان يعرفه نفسه اما سعيد بك فعرفه رغم تلثمه وتابع سيره مطمئنا فعد شاهين عدم اعتدائه عليه منة رغم ما كان يناله منه حين يقصده

بخس قيمة النفوس لديه

تغيظ أحدهم مرة من رجل فحاول ان ينتقم لنفسه منه ولما لم يستطع الوصول اليه كلف شاهينا الانتقام منه بدلا عنه نظير أربعة ريالات عرضها عليه فما كان من هذا الا ان طرق منزل الرجل ليلا وهو راقد مع زوجته وولديه فذبحهم جميعا ذبح الضان وعاد وهو يدخن كأنه لم يأت أمراً إدا أو كأن النفوس لا قيمة لها عنده ولما علم الذى دفعه الي الانتقام بما كان ندم على فعله لأنه لم يكن يطلب

غير اذلال عدوه لاقتله مع زوجته وولديه

بلغ حكومة صيدا مرة ان شاهينا متخذا احدي المغاور الكائنة في الجبل بالقرب من النبطية معقلا وانه يشن الغارة منه على المارة والبلاد المجاورة فأرسلت في طلبه كوكبة من الفرسان وأمرتهم بان يأتوا به حياً أو ميتا . فلما وصلت الكوكبة الى سفح الجبل شعر شاهين بها لانه كان اذ ذاك أمام المغارة مع زميل له يعاقران الخمر فما كان منهما الا أن تركا الكأس وتناولا بندقيتهما واصليا الجنود ناراً حامية . فحاول هؤلاء الدفاع غير انهم لم يدروا من أين يأتيهم الرصاص فحاول قائدهم ان يتقدمهم بغية تشجيعهم فضرب شاكتي جواده بالمهماز وصعد ورجاله من ورائه فماشعر الا وجواده قد سقط به لأن رصاص الشقيين قد اخترق خاصرته ولم يكن في تلك الجهة من يجرأ على مساعدة الجنود وان اطلاق النار كان متواصلا من الفريقين وكانت الشمس قد مالت الى الزوال فرأى الجنود ان وصولهم الي حيث يقصدون مستحيل فقرروا الرجوع الي ثكنتهم واعادة الكرة في الصباح بعدد أكبر اما شاهين ورفيقه فخين شعرا بنكوص المطاردين علي الاعقاب علما انهم لابد ان يعيدوا الكرة في اليوم التالي فغادرا ذاك المعقل تحت ستار الظلام الى معقل آخر

غريب من صور جعل يماثل فيه مهنته حتى ضج المارة واستجاروا
بالحكومة من شره فارسلت هذه رجالها لمطاردته غير انه كان أفلت
من جرادة العيار . ولما رأى أن أمره افتضح هناك رحل الي جبل
المتاولة حيث قضى شهوراً قصيرة ثم عاد الي لبنان

حضر مرة الى الاسكندرية يصحبه رفيق شديد البأس طويل القامة
تكاد طرفا شاربيه يلامسان أذنيه فخيم في أحد فنادق سوق الكانتو
ولم يكونا يخرجان إلا لسرقة أو تهديد بغية الحصول على النقود
ممن يهددانه وصرف النصف الاول من الليل في الحانات ومحال
الفجور بحيث كانا ينفقان عن سعة ولما كاد أمرهما يفتضح
افترقا وغادرا الاسكندرية بعد أن شبعا سلبا

مهارته في معالجة بعض الامراض

أصيبت سيدة مرة بداء المفاصل وكان شاهين يعرفها
فصنع لها مرهما شفيت على أثر استعماله والعهدة على قوله

متى تعقل

قال له أحد مرة الى متى تبقى على هذه الحال ألا تسعى
في ايجاد عمل تربح منه رزقك بدلا من الاعتداء على الناس وسلبه

أرزاقهم وقتلهم لغير ماسبب سوى الطمع بما معهم أو الانتقام لغيرك مقابل جعل تافه تتقاضاه منه. ألا يكفيك مافعلت حتى الآن فما الذي ربحته بل ما الذي ادخرته من كل ماسلبت

فضحك وقال ان أمري ليس في يدي والبرهان على ذلك هو كوني اذا كنت اليوم فى مصر فغدا أرى دافعا يدفعني الى الانتقال الى سوريا وهناك أرى نفسي مسخراً لقتل زيد أو سلب عمرو وهكذا ولا بد أن تكون هذه هي الصناعة التي خلقت لاحترافها فكظم محدثه غيظه حينئذ لعلمه ان من شب على خلق شاب عليه ومن طبع على الاجرام لايعود عن طبعه إلا إذا علق بحبل المشنقة

* * *

ميله للانتقام

دخل ذات ليلة قهوة فى بيروت لايجلس فيها إلا من كان على شاكلته وكان عامة بهم وبينهم واحد له عليه ثار فبعد أن جلس قليلا تناول كرسيا وضرب به القنديل المعلق في وسط القهوة حتى اذا انكسر اختلط الحابل بالنابل وأسرع البعض فى الخروج أما هو فتناول عصاه وجعل يضرب يمينا وشمالا حتى أدرك غريمه

عند الباب فاشتبكا بالضرب حتى تداخل صاحب القهوة وبعض من كان معه ففرقوا بينهما وكل منهما يضمر السوء للاخير وقد اتضح أخيراً ان الرجل لم يكن عدواً له بل لغيره وانه كان مأجوراً لضربه واذلاله

مجيئه الى مصر

لما شددت حكومة لبنان في طلبه على أثر ما نقل اليها عن فظائعه رأى أن الظروف لم تعد تسمح ببقائه لا فى لبنان ولا فى سوريا خصوصا بعد شنق زملته الخراب في سوق النبطية على ما تقدم فقرر الرحيل الى مصر براً خشية أن يلقي القبض عليه اذا حاول ركوب البحر فصار يختبيء فى النهار ويسير فى الليل الى أن وصل الى مصر بعد أن قضى شهرا فى الطريق وهو بزى بدوي وكان ينزل في طريقه ضيفا على الاعراب الضاربين بين عكا والعريش

فرأى أن يقيم في الارياف ليبقى مجهولا واختار المنصورة حيث أذاع بانه من الماهرين فى معالجة الامراض النسائية ومداواة العقم فكثر الاقبال عليه وصار ينفق فى الليل ما يكسبه فى النهار مع زمرة من أمثاله الذين عرفهم في المدينة المذكورة ولما كانت المعيشة

الحادثه لا تروق له نظرا لما طبع عليه من الميل الي الفتك والسلب رأي أن يرحل الي فلسطين فلم شعثه وسافر الى يافا ومنها الي عمان حيث اختلط بالاعراب حتى ات كانه منهم وصار يشن الغارة معهم ويعود غانما . ولما سئم هـذه المعيشة عاد الى يافا على جواد كريم باعه فيها وركب البحر الى بيروت حيث انتظم في سلك مهربي الاسلحة والدخان

وكان لا يبيت الا خارج المدينة كل ليلة في مكان خشية أن تهتدى الحكومة اليه لانه كان كثير الاعداء وكان أكثر مبيته في برج البراجنه حيث تعرف بارملة تدعى مرتا كانت صلبة الرأي مكروهة من اترابها فاقترنت به لتسخيره في الانتقام لها ممن تعاديهم فحبب اليها الاقامة في مصر ولم يزل بها حتى اذعنت لرأيه وباعت أثاث منزلها فضم ثمنه الى جيبه وحضر معها على أمل أن يحترف حرفة أو يفتح دكانا غير انه ما تم أن انفق ما كان معه في ملاذه وبقي بلا عمل فوقع حينئذ شقاق بينهما ادي الي المضاربة فالافتراق. فعادت الزوجة الى البرج وبقي هو في مصر عالة على المتصدقين ممن كانوا يعطونه ليبعد عنهم خشية التلوث بادرانه اذا ماعاد الى الضرب علي وتر نغمته القديمة . صادف مرة رجلا نازلا الي حقله

فقال فى نفسه لا بد أن يكون هذا حاملا نقودا فجاءه من الوراء
وطعنه بمديته في رأسه طعنتين الواحدة أثر الاخرى فخر الرجل
قتيلا فبحث حينئذ فى جيوبه فلم يجد سوى ثلاثة قروش ولما شاع
أمر القتيل بحثت الحكومة عن القاتل طويلا بلا نتيجة

ذهب ذات يوم الى البراسية قاصدا مقابلة نسيب بك جنبلاط
وكان البيك المذكور جالسا فى غرفته والخدم لاهون في الخارج
فدخل عليه وهو غافل عنه ورفع يده الى رأسه مسلما فارتعدت
فرائص البيك حين رآه وجعل يصيح بأعلى صوته داعيا خدمه
فادرك شاهين انه خائف فجعل يتلطف بقوله انى قدمت بغية
تقبيل أيدي سعادتك فقط فلم الخوف والهلع وللحال دخل حفيد
البيك وخدمه فرأوا صاحبنا واقفا فادركوا السبب وخرجوا مع
شاهين فاكرموه واثقلوا يده بما أمر به البيك

***

سرق مرة من صور حمارة وجاء بها قرية بنواحي صيدا فباعها
بثمن بخس غير أن الذى اشتراها اضطر لتسليمها الى صاحبها الذى
وفق اليها بعد البحث الطويل

***

دخل مرة محل دباغة جلود وحمـل مع رفيق معه ما وجده فيها وباعه .

* * *

سطى ذات يوم على مخزن بائع ساعات فسرق ماتمكن من حمله منه حتى ساعات فضية وذهبية وجعل يبيعها بربع ثمنها فى الارياف

* * *

دخل يوما مخزن بائع أثواب وقمصان أفرنجية وكان لابسا قمبازا (قفطانا) فجعل صاحبه يقدم له جملة منها بالوان مختلفة ثم خرج دون أن يشترى شيئا لانه تمكن من اخفاء بدلة ممـا قدمه الرجل بين فخذيه وخرج بها دون أن يفطن صاحب المخزن الى حيلته

* * *

كان مرة في سجن صيدا فحاول الفرار بكل حيـلة حتى اذا تمكن منه قبض عليه الحراس وهو يصعد على حائط السور فاعادوه الي سجنه وأمر مدير السجن بضربه على قدميه ستين عصا فكان الضارب يرفع يده الى فوق ويهوى بالعصا فيظن من يشاهده بانه يضرب بمنتهي قوته غير انه كان اذا هوي بها خفف قوته وذلك الا لان شاهينا تهدده بنظره بالقتل اذا شدد الضرب

دخل مرة منزل أحد أقاربه صديق لزيارة ذاك القريب ولم يكن في البيت سوى شاهين فما كان منه إلا أن هجم عليه وربطه بحبل ثم أشهر المدية مهدداً إياه بالقتل ان لم يعطه خمسين جنيها فاضطر المسكين الى اعطائه تحويلا بالمبلغ على البنك ولم يطلق سراحه الا بعد أن قبض المبلغ

ولما علم قريبه بالحادث أعاد المبلغ الى ذاك الصديق معتذراً عما حصل

قبضت حكومة لبنان مرة على أحد معارف شاهين وأودعته سجن بتدين بتهمة قتل وكان الرجل بريئا من هذه التهمة غير ان قضاته أبوا الا اسنادها اليه ولكن لم يكن صاحبها سوى شاهين فكبر الامر على السجين ولازمه الغم حتى أمرضه وأماته

وكان مرة مسجونا في بتدين مع زميل لا يقل عنه شراسة فجعلا يقامران مع المرحوم سمعان عقل المشهور بالقوة الذى سجن معهما لسوء حظه ولما ربحا ما كان معه بواسطة التلاعب ثم فطن الى غشهما فشتمهما طالبا اعادة ماسلباه فما كان منهما الا أن انقضا عليه وفي يد أحدهما حجر وفي يد الآخر قائمة كرسي ولو لم يدخل السجانون ويفصلون بينهم لكانا قتلا الرجل

بينما كان ذات يوم سائراً من يافا الى القدس ماشيا وهو بثوب بدوي ناداه فارس تركي مدجج بالسلاح آمراً اياه بالوقوف فامتثل مظهراً التذلل والخوف فقال له الفارس خذ لجام الجواد وانتظر ريثما أعود ثم ترجل وخلع سلاحه وعلقه في قربوس السرج ودخل دغلة هناك ليزيل ضرورة فلم يكد يتوغل فيها حتى امتطي صاحبنا متن الجواد وضرب شاكلته بالمهماز فطار به الى جهة نابلس حيث باعه وانتفع بثمنه

من عاداته انه لم يكن يبيت في بيروت الا نادراً خشية أن يقبض عليه اذا كان قد ارتكب جريمة أو أن يؤخذ بجريرة غيره من الاشقياء لذلك اذا سلب شيئا يحمله الي منزل أحد أصدقائه من الطائفة الدرزية في عين عنوب لانه كان من اتباعه الذين لا يخالفون له أمراً

فاتفق مرة أن حدثت جناية في بيروت كادت تذهب بها أرواح ثلاثة من الشبان فكان شاهين أول من توجهت اليه التهمة فجعل رجال البوليس يبحثون عنه في كل نقطة من المدينة ولا يهتدون اليه فلما وقف صديقه بعين عنوب على ذلك انسل الي بيروت ليلا وأخبر الحكومة بان من تبحث عنه راقد في منزله وأنه مستعد

إلى تسليمه قبل ان يتمكن من الفرار أو المقاومة فاتفق مدير البوليس معه على أن يوافيه فى فجر اليوم التالى مصحوبا بعشرة من رجاله للقبض عليه فعاد الرجل مطمئنا وكان شاهين راقداً على المسطبة أمام الباب غير حاسب للخيانة حسابا ولما لاح الفجر جلس فى فراشه وجعل يدخن . وبين هو على هذه الحالة أقبل صديقه من داخل البيت وابريق القهوة فى يده فاطمأن له ووقف لاستقباله فما كان من هذا الا ان وضع الابريق من يده وفتح ذراعيه وعانقه وللحال اطبقا رجال الحكومة عليه وشدوا وثاقه وأركبوه مركبة ورئيسهم الى جانبه وساروا به إلي سجن بيروت وصاروا يضربونه بمؤخر بنادقهم تشفيا منه الى أن أدخلوه السجن فظل فيه نصف سنة يقاسي مالا تعود مقاساته من العذاب تارة من الضرب وطوراً من لدغ القمل والبراغيث ولما لم تثبت التهمة عليه أطلق سراحه بوساطة بعض الاعيان الذين كانوا يعرفونه ويستخدمونه فى قضاء مآربهم والانتقام لهم ممن يريدون من أعدائهم

مر ذات يوم فى واد مقفر حاملا ماكان قد توصل الي سلبه فاذا باحد قطاع الطرق قد اعترضه موجها فوهة طبنجته الى صدره طالبا سلب مامعه . فالتفت شاهين الى ماوراء خصمه وقال عليه

يا حسن فالتفت الرجل الى الوراء ليري حسنا هذا ففاجأه صاحبنا بطلقة من طبنجته خر على أثرها مضرجا بدمه فمد يده الى جيوبه وعبه وسلبه ماكان معه مع سلاحه وتسلق الجبل متواريا عن أعين المارة

ضاقت الدنيا في وجهه ذات مرة وهو في صيدا ولم يجد للوصول الى النقود حيلة فسار الى دير الاباء الفرنسيسكان طالبا مقابلة الرئيس حتى اذا امتثل بين يديه شكا اليه فقره طالبا مساعدته لأن والدته تحتضر وليس لديه مايساعده على دفنها فحصل بهذه الطريقة على ثلاث ليرات وخرج ضاحكا

مقاومته للدورية

كان ماراً ذات ليلة في زقاق مظلم في بيروت بعد منتصف الليل فرأته الدورية وأمرته بالوقوف حتى تتبين هويته وتقف على سبب وجوده هناك في تلك الساعة غير انه بدلا من الامتثال للأمر جعل يطاق عليها الرصاص من طبنجته فلم يكن منها إلا أن قابلته بالمثل ولكنه مالبث أن تمكن بهذه الواسطة من الاختفاء بحيث لم يعد يظهر له أثر

الاستعداد للشر

ذهب مرة الى آل سرسق في بيروت عارضا نفسه للانتقام لهم
ممن يشاءون ولما عرفوه أرضوه بشيء من المال وهم يقولون
ليس لنا ثار على أحد وإذا وجدت في حاجة الي المال عد الينا على شريطة
أن لا تعتدي على خلق الله ولكن اني له أن يعمل ذلك وهو الذي
تعود السلب والنهب والقتل لذلك كان حين يلقى القبض عليه
لا يجد من يتقدم للتوسط في اخراجه لانه إذا كان من ذوي الوجاهة
اتهم بالانحياز اليه بأنه من اتباعه الذين يستخدمهم لقضاء مآربه
وإذا كان من غير هؤلاء اتهم بأنه من شركائه لذلك كان حين
يدخل السجن يظل فيه الي أن تنقضى المدد القانونية سواء كانت
مدة التحقيق أو الحكم

جريمة فى الاسكندرية

دخل يوما منزل أحد معارفه في الاسكندرية يصحبه رفيق له
وبعد أن أخذ لنفسه بعض الراحة ترك حقيبته وخرج مع رفيقه
وبعد انقضاء أربعة أيام على خروجه وصل الى بيت ذلك الصديق

أربعة من رجال البوليس مدججين بالسلاح وجعلوا يبحثون في ذلك البيت في غياب صاحبه لأنه كان من موظفي مصلحة الجمارك ولم يكن حاضراً سوى زوجته التي كاد يغشي عليها لشدة رعبها ولما لم يجدوا شيئا سألوها عن شاهين فأخبرتهم بأنه جاءهم منذ أربعة أيام مع رفيق لا تعرفه وترك حقيبته عندهم فما كان من هؤلاء إلا أن حملوا تلك الحقيبة الى القسم وسار اثنان منهم في طلب زوجها حتى إذا وجدوه أخذوه من عمله الى قسم العطارين للتحقيق معه وبعد أن سأله وكيل النيابة عن عمره ومهنته قال له هل تعرف شاهين مرعي الملقب بأبي حمد

ج — نعم أعرفه

س — منذ متى تعرفه

ج — منذ عشرة أعوام

س — هل تعرفه معرفة شخصية

ج — عرفته قبل هذه المدة بالاسم فقط وبعد ذلك عرفته شخصيا في بيروت

س — وكيف عرفته

ج — ان الذى عرفني به صديق في بيروت إذ كنا في القهوة

بفرن الشباك فلما أتى شاهين المشهور بالقوة والسلب وبينما كنا في حديثه أقبل علينا وسلم على صديقي لأنه كان يعرفه ثم جلس وتناول المشروب معنا وبعد مضي شهر على مقابلته هذه حضرت الى الاسكندرية ولم أعد أراه إلا منذ أربعة أيام إذ أتي مع رفيق لا أعرفه حاملا الى خطابا من صديق لي في بيروت فما وسعني إلا الترحيب به خوفا من بطشه ولشدة كدري مزقت الكتاب الذي حمله الي

س وهل هذه الحقيبة التي تراها أمامك هي التى كانت معه حين دخل منزلك

ح قد تكون هي لأني لم أرها فالخادم هو الذي تناولها من يده

س — ولماذا دخل منزلك دون غيرك

ج - سلوه فهذا مالا أعلمه

س أليست بينكما قرابة

ج - من أين تأتي القرابة

س - هل تعرف انه من القتلة السلابين

ج ذلك مايشاع عنه غير انى لا أعرف عنه حادثة معينة

والقول كثير ولكن العبرة في الاثبات

س — انه طعن أحدهم بمدية في صدغه محاولا سلبه غير ان رجال البوليس قبضوا عليه قبل أن يتمكن من قتله وقد نقل الجريح الى المستشفي بحال تبعث على القلق

ج — وهل الرجل الجريح طويل القامة حنطي اللون عريض المنكبين كبير العينين فاذا كان بهذه الاوصاف كان هو الذي رافقه الى منزلي

س — نعم هو بهذه الأوصاف وهلا تعلم شيئا عنه

ج — من أين أعلم وهو لم يكد يدخل بيتي حتى خرج فقال له النائب حينئذ اننا سنعود الى التحقيق معك غداً أما الآن فيجب أن تقدم ضامنا حتى نخلي سبيلك قال دعوني أخرج فآتيكم بالف ضامن وهكذا خرج المسكين من ذاك الموقف ساخطا على شاهين وكل من عرفه

وبعد انقضاء يومين على دعوته الاولى دعي ثانية وسئل عما يعرفه فقرر ماقرره في الجلسة الاولى دون أن يزيد عليه حرفاً واحداً . أما الجانى فكان فى المستشفي مع المجنى عليه وفى اليوم الثالث تمكن من الفرار بواسطة تسلق الحائط وركب مركبا شراعيا

الى يافا حيث اختفى أثره أما النيابة فبعد ان بحثت عنه كثيرا على غير جدوى حفظت القضية

وقد اتفق لصديقه ان ترك الاسكندرية وقدم مصر وذلك بعد مرور عشرة أعوام على الحادثة وبين هو جالس ذات يوم مع زوجته اذا بشاهين قد دخل عليها مسلما فاستقبلاه كعادتهما جاسبين لقدومه ألف حساب فادرك هو مايجول فى فكرهما فقال اني قدمت هذه المره مع زوجتى للاقامة في القاهرة فاتيت لاراكما فقط وأدلكما على منزلي واذ ذاك سأله الرجل عنه كيفية فراره وسبب ارتكابه الجريمة التى قبض عليه من أجلها فاخبره بانه دهن خصيتيه بمرهم صنعه خصيصا فانتفختا انتفاخا كليا دعي لنقله الي المستشفي الذين فر منه . وكان لا يبخل في الردود على ذاك المسكين بين حين وآخر طالبا نقودا كأن ماسببه له من الهم واشغال البال وتعريضه اياه لاشرح التهم لم يكن كافيا حتى جاء يعززه بطلب النقود

السلاح الذي كان يستعمله

كان في بدء خروجه للصوصية يستعمل للقتل دبوسا من الحديد ذا خمسة حدود بارزة على علو سنتمترا بحيث كان اذا ضرب به أحدهم على رأسه كسره أو على فخذه سحقه وكان ينقل في حزامه مدية ماضية الحدين ويعلق الدبوس فيها ويحمل فى جيبه مسدسا فاذا كان خصمه مسلحا قابله باطلاق النار وان كان أعزلا فاجأه بالدبوس أو الخنجر ولما تقدم فى صناعته اعتاض عن الدبوس بعصا من السنديان المتين أما المدية والخنجر فلم يكونا يفارقانه. ولم يكن يرقد الا والسلاح تحت وسادته . ولم يكن الذين يسيرون فى خطته يحبونه نظراً لغدره وخيانته

شاهين وحمار البستاني

لحضرة الوجيه مخائيل أفندى حبيب

كان لأحد رجال عائلة البستاني حمار يركبه في كل يوم الى جهة بالقرب من صيدا كثيرة الآثار للبحث عن العاديات فيها وكان طويل القامة عريض الصدر متين العضل كريما جوادا لا يكاد منزله

يخلو يوما من الضيوف وكان شاهين مرعي من الذين يؤ ون منزله
أحيانا وينالهم منه الحظ الوفير فاتفق لشاهين ان مر ذات يوم في
القرية التي يقيم البستاني فيها فرأي حماراً يرعي الي جانب بيته فما
كان منه الا ان ساقه أمامه وصاحبه يراه ولا يقول شيئاً ولما بعد
قليلا قابله أحدهم فقال له ألم تجد لك صيداً ياهذا الا حمار البستاني
وهو الرجل الذي شملك فضله قال أهو حماره قال نعم قال لو علمت
ذلك لما تعرضت له ولكن لا بأس فها أنا عائد به اليه ولما اقترب من
البيت ناداه البستاني ياأبا حمد فأجاب نعم قال هلم الي فلما صار أمامه
قال له رأيتك تسوق حماري أمامك فهل أنت بحاجة اليه قال لا قال
ولم سقته اذن قال ظننته لغيرك قال ألا تراني أركبه في كل يوم الي
مغاور صيدا للبحث عن العاديات فكيف لم تعرفه . ولكن لا بأس
فيكفيني ان أعلم بأنك لا تعفو عن الاعتداء حتى على الذين لا يمكون
عنك ما تطلب قال أخطأت ومنك أطلب الصفح وفضلك لا أنساه
ما حييت قال حذار من أن تتعرض لما يخصني دفعة أخرى ثم انتهره
وطرده طرداً شنيعا

شاهين والماعز

كان ماراً ذات يوم في جهة السعديات فرأى في الجبل المطل على البحر هناك قطيع ماعز يرعى فخطر له ان يخطف معزي منه وللحال أردف الفكر بالفعل اذا سار واختطف معزى بطرفة وجاء بها الى القهوة الموجودة في السعديات طالبا الى صاحبها حضرة حسن أفندي البستاني ان يذبحها ويجهز له غذاء منها فأبى هذا أن يفعل ماطلبه غير ان شاهينا أصر على ذبحها فقال له حسن حينئذ اذا ذبحتها فانك لاتأكل منها الا كفايتك والرطل من اللحم الضان لايزيد ثمنه عن خمسة عشر غرشا فخذ هذا الريال واذهب الى الدامور واشتر ماشئت وكل ودعني أعيد المعزي الى صاحبها فقبل هذا الاقتراح واعاد حسن المعزي الى حيث كانت ترعى

جريمة في بيروت

كان شاب من أشد احدى قرى لبنان مارا في زقاق من أزقة بيروت بعد الغروب بقليل دون ان يتحرش باحد فلم يشعر الا والرصاص يطلق عليه بالتتابع فحاول ان يتناول مسدسه لاطلاقه على

المتدين غير انه لم يستطع لأنه كان قد أصيب بثلاث رصاصات في صدره فخر على الارض صريعا

ولما بلغ خبره شاهينا وزميله الذى لا نسبه اقسما بان ينتقما له وفي اليوم التالى اقبل أهل القتيل ونقلوه الي قريته لدفن فيها وهم يهزجون ويتوعدون

وبعد أيام قليلة نزل شاهين الى بيروت مع زميله وكمنا في زاوية مظلمة فرأيا ثلاثة يعاقرون الخمر في احدى الحانات وهم وقوف فقال ذاك الزميل لشاهين دعني لهم ياأباحمد واذا رأيت أحدا يتعرض لي تقم بعملك ثم انقض هو على أولئك الشبان واطلق النار عليهم فخروا على الارض صرعى ثم خرج وفر الى الجبل وأبو حمد في أثره ولما نمى الخبر الى دائرة البوليس أرسلت من نقل المصابين الي المستشفي وجدت في طلب المتدين خصوصا في طلب شاهين اذ كان قد بلغها خبر قسمه بالانتقام للقتيل الذى تقدم ذكره غير أن شاهينا كان أفلت من جرادة العيار . ولما اعيتها الحيلة كتبت الى متصرف لبنان بطلبه فاصدر هذا أمره الي قائمقام الشوف بالبحث عنه واقتياده مكبلا بالقيود الي بيت الدين وكان القائمقام اذ ذاك المرحوم الامير مصطفي ارسلان فلم يكترث كثيراً لهذا الامر وبقي شاهين حراً طليقا ولم يعد يخشي

بيروت إلا ليلا وهو متنكر وكان اذا عرفه أحد يهدده بالقتل فيغضي عنه

فرآه أحد رجال البوليس ذات يوم جالسا في حانة قريبة من الحرش مع أحد أصدقائه فذهب وأخبر زملاءه وللحال أقبل عشرة منهم ووقفوا أمام الحانة للقبض عليه فلما شعر بهم وقف وفي كل يد من يديه مسدس وصاح بهم قائلا ويل لكم ياكلاب انا أبو محمد ثم هجم هجوم لذئب فتفرقوا لساعتهم اما هو فظل سائرا في طريقه الى عاليه حيث جلس في احدى قهاويها لاتمام سكره

فريده هيكل

كانت فريدة زوجة الياس هيكل ممتازة بجمالها بين نساء معلقة الدامور وكان زوجها من الاغنياء المشهورين فلم يكن ينقصها شيء من لوازم الشرف والزينة غير انها لم تكن مع ماهي عليه من الجاه عفيفة النفس طاهرة الذيل اذ كانت تهوي رجلا في بيروت وتتردد عليه كلما سنحت لها الظروف ولما بلغ زوجها خبرها زجرها وهددها بالطرد إذا كانت لاترتدع . لكنه كان كمن ضرب في حديد بارد . ولما أعياه أمرها طلب طلاقها وطردها من بيته

فسارت الى بيروت حيث كان الحبيب مقيما فصارت تجتمع به متى أرادت وأشركت في حبه غيره ممن اختارتهم هناك حتى شاع أمرها وأصبح منزلها كعبة طلاب الرذيلة فكبر الامر على زوجها لأنها كانت لاتزال تحمل اسمه ولم يجد واسطة للتخلص منها سوى قتلها فدعي اليه شاهينا وشابا آخر يدعى السميسمه واتفق معهما على جعل معين يقبضانه بعد اعدامها وانقاذ شرفه من بين مخالب عارها فسار كلاهما ووقفا أمام كنيسة ماري جرجس ينتظران خروجها لأنها كانت قد دخلتها للصلاة حتى اذا خرجت بادراها باطلاق النار من مسدسيهما أمام الجماهير الخارجة من الكنيسة حتى أطلقا عليها سبع رصاصات ولجأ الى الفرار . أما شاهين ففاز بالوصول الى الدامور حيث قبض المال المعين وأما السميسمة فوقع بين يدي الحكومة وسيق الى السجن حيث أوعز اليه من قبل رشيد بك الوالي إذ ذاك بأن يتهم الياس هيكل بالتواطيء معه فيخلى سبيله فصدع هذا بالامر وللحال القي القبض على الياس هيكل وسيق الى السجن فبقي فيه زهاء الشهر الى أن دفع نحو الخمسة آلاف جنيها للوالي فأخلى سبيله مع القاتل بحجة ان القاتل كان مجنونا وان تهمة الياس هيكل بالتواطؤ كانت ملفقة لا أصل لها

ولا فصل

والذين شاهدوا هذه الحادثة قالوا ان السفاكين حين كانا يطلقان النار كانا يبتسمان ويقول أحدهما للآخر بعد اطلاق رصاصة كان واحده كان واحده حتى لم يعودا يريا حركة من قتيلتهما أما الذين كانوا خارجين من الكنيسة فقد تولاهم الذعر وهاموا على وجوههم لايلوون على شيء ولو كان لرجال الحكومة أثر فى تلك الساحة لما حدث شيء بل لما أفلت القاتل من يدهم

شاهين يصلي

يقال ان للقتلة ضمير يبكت مثل غيرهم وانهم يصلون احيانا كأن الجرائم التي يرتكبونها تغتفر بالصلوات وان ما يأتونه انما هو عمل من الاعمال المعتادة . لذلك كان شاهين يعلق في عنقه ذخيرة عود الصليب ويحمل سبحة وقد اتفق له ذات يوم ان رأى فريسة وهو يصلي بسبحته فوضع حجراً على الحبة التي وصل اليها وقام فارتكب جريمته وعاد الى اتمام صلواته . أليس هذا من المضحكات المبكيات فى آن واحد . فأي ضمير يساعد على ارتكاب الجرائم والصلاة على الاثر الا ضمير المجانين

توحشه الفظيع

اشتهر أحد شبان حي البسطة فى بيروت بالقوة وشدة المراس
اشتهاره بالاعتداء على غير ابناء دينه لغير ماسبب سوى التعصب
المذموم المستحكم من جسم الشرق الذي كان يفضى الى تضحية أنفس
عديدة في كل شهر على مذابحه

ولما بلغ خبره شاهينا أضمر له الشر وقرر قتله ولو أنه لا يعرفه
وبينما كان يشرب الخمر ذات ليلة مع أحد الذين يلفون لفه من أصدقائه
قص عليه خبر هذا الرجل وأخبره بانه قرر قتله فوافقه هذا على
تنفيذ القرار معه وللحال سارا الي حي الجميزه وسألا خادم قهوة هناك
عن رجلهما المطلوب فاخبرهما بانه يمر فى منتصف كل ليلة فى الحارة
المجاورة للقهوة سائراً الى منزله فى البسطة فقال له شاهين أريد منك
ان تقف في الحارة فى الليلة المقبلة حتى اذا مر هذا الرجل تسعل سعالا
مصطنعا فنعرف انه هو ثم تذهب الى حيث شئت ولك ريال نظير
هذه المأمورية ثم أعطاه الريال وسار مع رفيقه الى الحانة . وحوالى
منتصف الليلة التالية أقبل مع رفيقه وكمنا فى احدى زوايا تلك الحارة
وخادم القهوة يروح ويجيء أمامهما . وبعد انتصاف الليل بقليل أقبل

شاب طويل القامة عريض المنكبين متين العضل مدججا بالسلاح
يمر أمام شاهين وزميله متبخترا في مشيته فادرك شاهين من هيأته
أنه هو المطلوب ولكنه لم يشأ ان يحرك ساكنا قبل أن يسمع سؤال
الخادم الرقيب لئلا يكون مخطئا في ظنه وبعد أن مر الرجل سار
إلى الخادم فرآه يرتجف فقال له أليس الرجل الذي مر الآن هو
من ننتظر فاجابه وهو يرتعد لشدة خوفه نعم هو قال ولم لم تسعل
كما اتفقنا قال لا أعلم لأن الخوف عقد لساني قال ويل لك ياجبان
فقد افقدتني صيدي الذي أرصده منذ أمس فخذ اذن ما كنت قد
أعددته له ثم تناول المسدس وأطلق عليه رصاصتين فارداه قتيلا وعاد
من حيث أتي كأنه لم يأت أمرا ادا

أما رفيقه فلامه على قتل الغلام رغم توحشه فتأمل

تهديده أحد الكهنة

ذهب مرة إلى أحد الاديرة فبعد ان أقام يومين على الرحب
والسعة طلب ان يزودوه بمبلغ من النقود فاعطاه الرئيس ليرتين وبعد
انقضاء ثلاثة شهور عاد طالبا مثلهما أو اكثر فقال له الرئيس انا قوم
فقراء يا بني وليس لدينا ما يزيد عن نفقتنا التي نحصل عليها من المحسنين

فبدلا عن ان تساعدنا تأخذ منا ؟ قال وانا فقير مثلكم فاحسنوا الى كما يحسن اليكم والا ذهبت وقطعت الطرق فيكون الذنب حينئذ ذنبكم لا ذنبي فلم يسع الرئيس الا ان يعطيه ما استطاع ان يقتصده

نادرة

وقد بلغه مرة ان أحد رجال عثمان عبد العال أقسم بان يقتله فلم يكد هذا القول يبلغه حتى سار لساعته وكان الوقت مساء الى قهوة البسطة حيث جلس عثمان وزمرته والخنجر فى حزامه والطبنجة فى جيبه والعصا الغليظة فى يمناه حتى اذا وصل طارح القوم السلام وقفز الى آخر القهوة وجلس جاعلا ظهره الى الحائط ليأمن غدر الغادرين من ورائه

أما عثمان فاما رآه وقف مرحباً به كما وقف جميع رجاله ودعوه إلى الجلوس بينهم لأنهم أدركوا غايته غير انه أبي الانتقال مدعياً بانه مرتاح وللحال وافاه خادم القهوة بما طلب حتى اذا شرب التفت الي عثمان وقال انى أريد أن اسر اليك سراً فهل تريد ان تجلس الى جانبي

قال ولم لا يا أبا حمد ثم قام حاملا كرسيه الى حيث كان وجلس الى جانبه

فقال له حينئذ بلغنى ان أحد رجالك المدعو محي الدين أقسم على أن يقتلنى فاذا كان ذلك صحيحا فدعه يتقدم لأنى لم آت الى هنا في هذه الساعة الا لأوفر عليه مؤونة البحث عني واذا لم يتقدم هو تقدمت أنا

ثم وضع يده على الطبنجة فجعل عثمان يطيب خاطره بما أزال حدته ثم دعي بمحي الدين وكلفه الاعتذار عما فرط منه غير ان هذا أنكر ماعزي اليه معلنا بان أباحمد أخوه وموضوع افتخاره .

واذ ذاك ضحك شاهين ونهض سلم عليهم وقفز إلي الخارج ذاهبا الي حي الجميزه

اخلاقه

كان خفيف الحركة والروح معاً فاذا ماتحدث ضمن حديثه نكتاً مضحكة واذا ماسئل عن فعاله روي ماأتاه بكل صراحة ، شأن من يفتخر بالقتل والسلب لاعداده ذلك من فعال البطولة

وكان حين يدخل على أحد كبار القوم من الذين يعرفونه فى سوريا يلتزم عادة الاحترام الاتم ، واذا ماسأله المزور عن صحته وأحواله يجيبه اني بخير مادمت تحت راية سعادتك ، فلسعادتك ان تأمر وعلى ان أنفذ . فرأس من تطلب سعادتك حتى أوافيك به ؟ فيضحك الوجيه المزور منه وينفحه بما شاء بغية الخلاص من شره . وكان هو يعرف ان صرفه على هذا الشكل انما هو للتخلص منه مادام لاتوجد مأمورية يكلف بتأديتها . وهذه المأموريات لم تكن محصورة الا فى دائرة الانتقام من زيد أو عمرو نظراً للمنافسات التى كانت مستحكمة بين هؤلاء الاقوام الذين كانوا كلهم من أرباب النفوذ في ذاك الوقت سواء كان فى بيروت أو لبنان وهؤلاء لم يكونوا يأمرون بالقبض عليه الا بعد ان يطفح كيل شره ومع ذلك كانوا

يكتفون بسجنه فقط مدة شهور معينة بغية ذر الرماد فى العيون .
والا لو كانوا يسجنونه فعلا ويعاقبونه عقابا صارما لما تمادى في الشر
وأمعن في القتل والسلب غير ان غاياتهم كانت الحاكمة المطلقة لذلك
كانوا يدخرون مثله لتنفيذ أغراضهم ولو كان فيها هلاك غيرهم فلا
عجب اذا فاخر مثل شاهين بقوته البدنية وفتكه بعباد الله مادام
هؤلاء يشيدون ازره ويحسبون حسابه

ولقد تجول فى مصر وأميركا وعاشر الكثيرين ومع ذلك لم
يخجل من نفسه أو يفكر فى الرجوع عن خطته بل كان اذا جلس
فى قهوة أو أى مجلس آخر يفاخر ماأتاه ويروي حوادث الجرائم التى
ارتكبها كما يروى غيره فكاهة أو رواية هزلية وهذا برهان كاف
على ماتخلق به وعلى طباعه الغريزية الشبيهة بطباع سكان البادية
الذين يتعيشون من الغزوّ والسلب والنهب ويعدون من لا يموت في
حومة الوغي نذلا جبانا

غير أن صاحبنا لم ينشأ بينهم حتى يتخلق باخلاقهم فالذنب في
تخلقه بهذه الاخلاق اذن انما هو ذنب التربية الفاسدة أولا وتعضيد
الحكام والوجهاء ثانيا

والقد اشتهر كثيرون ممن احترفوا حرفته هذه ونهجوا نهجه

مثل شيخ الجبل قديما وقبضايات بيروت ولبنان فقتلوا وسلبوا وارتكبوا كل عظيمة في سبيل الانتفاع ولكنه لم يمت أحد منهم غنيا بل ماتوا وهم لا يملكون شروى نقير فالبعض علي فراش الألم والآخرون فى حبال المشانق . أما شاهين فمات في القصر العيني حيث أرسل ليعالج مع الفقراء مجانا ذلك رغم كل ماسلب ومانهب وفي سيرته عبرة زاجرة لجميع الذين يلفون لفه وينسجون على منواله

ولقد يقول علماء الاخلاق ان القاتل مسخر للقتل من طباعه التى ولدت معه وان الزجر والتهديد لا يفيدان لردعه وايقافه عند حده فنجب بان ذلك جائز غير أن التربية الصحيحة تقوم ما أعوج من الاخلاق مهما كانت صلبة وزد عليها المراقبة الحكومية الصحيحة اذ ليس من يقوم على ارتكاب جناية وهو يرى عين الحكومة ترقبه لأنه اذا أجرم كان مجنونا أو معتوها ومن كان كذلك فلا ذنب عليه

دخل شاهين مرة على قنصله أي قنصل ايران فى اطنه وقال له انك اذا نفيت عني ماقد اتهم بارتكابه وأبعدت يد الحكومة عن الوصول الى اقتسمت معك الفائدة التى أجنيها . قال ومن أى وجه تنتظر هذه الفائدة . قال من تهريب الراغبين في النزوح الى أميركا وإدخال ماهو محظور ادخاله المدينة كالدخان غير الريجي والسلاح

والبارود قال اذا كان ذلك لا يدعو الي القتل فلا بأس قال وأي قتل قال اجتهد في ان لا تقع في يد رجال الحكومة لأنك اذا وقعت وأنت متلبس بجناية ما تعسر انقاذك الا بالرشوة التي يختلف مقدارها باختلاف الجرم فجعل منذ ذلك الحين يمارس هذه المهنة ولقد داهمته الجنود في ليلة حالكة وهو قادم مع أربعين ارمنيا لتهريبهم وكان في الطريق نهر غزير عميق لا يسمع له هديراً فتبادل الفريقان اطلاق النار ففر من فر وقتل من قتل وغرق من غرق لأن الليل كان حالكا ولم يكن يستطاع السير الا تلمسا اما هو فعاد سالما غانما لأنه كان قد قبض الجعل المتفق عليه مقدما

ولم يزل يمارس مثل هذه الاعمال في اطنه حتى خروجه منها فصار يباشر مثلها وأعظم منها في سوريا وكل بلد حل فيه حيث تكون المراقبة ضعيفة

فراره من وجه الحكومة

وقعت مرة جناية فظيعة في لبنان في عهد قائمقامية الامير مصطفى ارسلان على الشوف فأصدر الامير أمراً بالبحث عن القاتل واحضاره مكبلا بالقيود فخرجت قوة عدد رجالها عشرة لتنفيذ الامر

وكان شاهين من المتهمين فعلم وهو في الدامور بخروج تلك القوة وانها تبحث عنه فقام لساعته وتوارى عن الانظار فنقل أحدهم الى قائد القوة المذكورة خبر وجوده في قيتوله فسارت اليه ليلا لتأكدها من أنه المجرم الحقيقي وكان هو منزويا في منزل قائم في آخر القرية المذكورة دون ان يأخذه نوم

فخرج حوالي منتصف الليل لازالة الضرورة وبينا هو كذلك سمع وقع حوافر الخيل على الصخور فأدرك الغرض من قدومها فقام لساعته الي المنزل وتقلد سلاحه وهبط الي الوادي الكائن بين قيتوله وروم وفر الى صور حيث بقي مدة ثلاثة شهور مختبئا بين الجبال لسلب المارة ولما مل الاقامة وعلم أن مطارديه عادوا بخفي حنين ولم يعد من يجد في أثره عاد الى الدامور متخفيا

وبقي هناك الى أن كفت الحكومة البحث عنه فعاد حينئذ الى بيروت وانضم الى زمرة مهربي الدخان والاسلحة فكانت أرباحه من وراء ذلك كبيرة غير انه كان ينفقها في السكر وفي مهاوى الفساد. وكان اذا جلس في حانة أو قهوة يلتزم دفع جميع مايشربه مجالسوه مهما كان مقداره لأنه كان يعد ذلك فخراً له

وكان اذا حاول أحد جلسائه الدفع يقول له صاحب الحانة أو القهوة لقد وصل الحساب من أبي حمد اى من شاهين

فيسر هذا الجواب شاهينا كما يسره شكر هؤلاء اياه على هذا التفضل الذى يكون مصدره إما الدم الذي سفكه أو السرقات التى سرقها



صبره علي المتاعب

من غريب مايروى عنه انه جاء مصر أكثر من عشر مرات ماشيا من سوريا حتى القاهرة وهكذا يفعل حين يسير إلى فلسطين والسلط والكرك والجهات التي يضرب الاعراب فيها مضاربهم كي يتوارى عن عين الحكومة اذ تكون جادة في طلبه

ورحلاته هذه لم تكن تخلو من القتل والسلب بغية الانفاق على نفسه اذ لم يكن يحترف ليتحصل على رزقه حرفة سواها وتنقلاته هذه المتعددة هي التي كانت تدرأ الشبهة عنه ، اذ لا يعقل اتهامه وهو بعيد عن مركز الجريمة مسيرة يوم أو يومين

واذا قدر لأحدهم ان يراه متلبسا بجريمة ما أنكر رؤيته خوفا من بطشه وغدره

تصميمه على القتل

رآه أحدهم مرة يتحفز للقتل وكان من الذين يركن اليهم فسأله عن اسم الذى يتحفز لقتله وكان من الاعيان المشهورين فى بيروت حتى اذا وقف على اسمه سأله عن السبب فاجاب بانه يبخل عليه حين يأتيه قاصداً مساعدته وانه قد يكون من المساعدين للحكومة عليه فما كان من هذا الا ان نهاه عن ارتكاب هذه الجريمة ووعده بان يأتيه منه بمبلغ يرضيه وان يجعله في المستقبل من رجاله

فقنع بقوله ونال ماوعده به ولم ينفك بعد ذلك عن التردد على ذلك العين وأخذ مايجود به عليه

ولما تكرر منه الترداد دون ان يؤدي له خدمة مارأى ان ذلك مما يحط من مقامه

فقال له ذات ليلة وهو جالس عنده لقد غمرتني بمعروفك ياحضرة المحترم . فانا مستعد لتأدية كل خدمة تطلبها

ثم استل مديته وقال وها أنا أقسم برأسك بأنك لو كلفتني قتل أى شئت اتيتك برأسه فمر بما تشأ .

فاقشعر جسم ذاك الوجيه لدي سماع هذا القول وأدرك

انه ينفذه بلا تردد غير انه لم يكن يطلب الانتقام من أحد ولا كان ممن يميلون الى الايقاع بالناس أو الاضرار بهم . فكان الابتسام شاكراً له اخلاصه هذا ثم قال :

اعلم يا أبو حمد بأني استفظع أعمالك لأنك تقتل الناس اما طمعا بمالهم واما ارضاء للذين يستأجرونك . فانا مستعد ان أجد لك عملا تعيش معه ناعم البال كما يعيش غيرك

قال شكراً لك وفضلك على رأسي

قال على أي شيء عولت

قال انى رهين اشارتك ولكن ماهو العمل المطلوب اسناده الي

قال ذلك ماسننظر فيه متى وافقت على اقتراحي

قال نعم ولكني أرجوك أن تمهلني شهراً أو أكثر لأن أمامي ما أربح منه ربحاً كثيراً وقد رهنت لساني على اتمامه

وخشي هذا أن يطيل معه الحديث فينفره لذلك اكتفي بصرفه بأربعة ريالات

آل الدبية صيادون

كان شاهين جالسا ذات يوم في السعديات على شاطيء البحر يعاقر الخمرة فخطر له ان يزور الدبية ليظهر فيها بعض مساوئه المشهورة عنه ولما نمى ابرلخ إلى يوسف جرجس عون جاءه من معلقة الدامور وقال له انى أنصح لك ياشاهين بعدم الذهاب إلي هذه القرية لأن أهلها صيادون ماهرون وأخشي ان ينالك رصاصهم وتكون هذه آخر الغزوات .

ومن محاسن الصدف ان وصل فى تلك الساعة شبلى حبيب البستاني من الدبية وكان من رجال الحكومة اللبنانية ومن الاشداء الذين يشار اليهم بالبنان فاراد ان يغتنم الفرصة وينقذ العالم من شر شاهين وادعى بانه ذاهب إلى الدبية ويطلب رفيقا للتسلية فى الطريق فقال له شاهين انا أرافقك لأني سائر اليها وللحال سارا معاحتى اذا بلغا جهات الصيار جلسا للاستراحة من عناء السير . فقال له شبلي حينئذ ماالذى تطلبه من الدبية ياشاهين الا تعلم بأنها بلدى وانا قوم لانعرف الغدر والخيانة فدونك والنزال اذا كنت رجلا وللحال اشتبكا ببعضهما ولولا وصول طانيوس لوقا البستاني فى تلك الساعة

على أثر سماعه صياح شاهين وتداخله بين المتضاربين لقضى شبلي عليه غير انه لم يرجع عنه رغم هذا التداخل الا بعد أن أخذ ماكان يحمله من السلاح بعدان تهدده بالقتل اذا صادفه في الدبية أو ضواحيها

شاهين قناص النساء

من مبتدعاته الغريبة التي لاتخطر على فكر أحد انه كان اذا أراد قتل امرأة سواء كانت زوجته أو خليلته بغية التخلص منها كان يداهمها وهي غارقة في بحار النوم على أثر مايكون قد جرعها إما من الخمور أو غيره ويشك يافوخها بدبوس فينفذ الهواء بهذه الواسطة الي المخ وتموت وهي حيلة شيطانية لا يقدم عليها الا الذين تجردوا من كل شعور وتحجرت ضمائرهم وقد شاع ذلك عنه حتى بات معلوما لدي الخاص والعام

فهو في هذه الحال شريك قاتل النساء لاندرو في باريز الذى بلغ عدد من قتلهن خمسا وأربعين امرأة ولعل قتله اياهن كان بطريقة شاهين لانه كان يعتريهن جنون قبل موتهن وذلك لا يأتي الا على خرق اليافوخ على مانظن وزبدة القول أن المرء متى تدرج في الشر تحجر قلبه وتفنن في القتل تفنن شاهين

الشيطان وابنته

اذا كان القط ذا سبعة أسماء فشاهين ذو ثلاثة وهي شاهين وأبو حمدو الشيطان والاخير منها أطلقته عليه ابنته ماري لأنها حين كانت تراه يغمي عليها لذلك كان زوجها يبذل جهده في تجنب مقابلتها اياه اذ كان ينفحه بين يوم وآخر بشيء من المال حتى لا يأتي الى منزله

وقد حدث يوما ان هـذا الزوج كان مع زوجته في ضيافة قريبة صاحب مكتبة العرب وكان شاهين يرقب مقابلته لطلب شيء من النقود ولما علم انه في منزل المضيف المذكور سار اليه طالبا ان ينقده مبلغا فلما سمعت ابنته صوته من الغرفة الداخلية تولتها رعدة وكادت تقع مغشيا عليها لو لم يتداركها زوجها ويخبرها بان من يحدثه انما هو فلان الصديق لا والدها شاهين فتنفست المسكينة الصعداء حينئذ وقالت لقد أزلت بقولك هذا حملا ثقيلا عني لأني كنت أظنه الشيطان لا الصديق الذي تشير اليه

بعض احتياله في النصب

ذهب مرة وجيبه أخوى من فؤاد أم موسى الى صيدا ومنها
إلى المختارة حيث قابل المرحوم نسيب بك جنبلاط ومكث في ضيافته
بل ضيافة محاسيبه ثلاثة أيام ولم يعد من هناك الا وفي جيبه بعض
المال مما أمر به البيك ولدى وصوله الى صيدا قابل المدعو نعوم نوت
وهو رجل لم يكن له عمل سوي التحايل على الناس لتحصيل قوته
بعد أن فقد كل ماكان يملك وبعد ان صرفا النهار معا ذهب نعوم
حاملا صرة مملوءة من الحلى المتنوعة المرصعة الى بستان هناك يقيم
فيه المدعو الحاج حسين رمضان وهو رجل يناهز الستين مشهور
بالطمع وكان اذا طلب نعوم مساعدته أعطاه مايسد به الرمق فقط
فرأى هذا ان يحتال عليه ليأخذ منه مبلغا وافراً ولما وصل بالصرة
طلب ان ينفرد به في مكان قصي من البستان لأن معه مايغنيه إلى
يوم القيامة فرقص فؤاد الحاج طربا خصوصا حين رأي الصرة في
يده وسار معه إلى غرفة في آخر البستان حتى اذا جلسا قال له نعوم
هل لديك مكان للسر قال بئر عميقة قال أقسم لي بالطلاق بأنك
لاتبوح لأحد بما أسره اليك لأنك اذا بحت بشيء منه اسلمتني الى

السجن وأنت تعلم باني ذو عائلة كبيرة وليس لي مورد سوي مساعدة
المساعدين من أصحاب النخوة والمروءة قال على أى شيء تريد ان
أقسم قال على ان الوديعة التى أجعلها بين يديك الآن تظل محفوظة
الي أن أطلبها وتأخذ نصيبك منها واعلم بانها مكونة من حلى متنوعة
مرصعة بالاحجار الكريمة لا يملكها الا الملوك وكبار الموسرين فاقسم
على ماطلب لاسلمها اليك فاقسم الحاج بالاطلاق على لن يكتم السر
ويحتفظ بالوديعة الي أن يطلبها مودعها أو يتفق معه على مايفعله بما
تحواه واذ ذاك فتح نعوم المنديل فلمعت فيه الاحجار الكريمة لانعكاس
النور عليها وكانت مكونة من خواتم وأساور وأقراط ومداليونات
ومشابك ونحوها وكانت الاحجار المرصعة كبيرة يبلغ وزن بعضها
الثلاث قراريط أو الاربع فطار فؤاد الحاج سروراً عندرويتها وقال
لحاملها لفها بالمنديل حالا لان للجدران آذانا تنقل خبرها فما كان من
هذا الا أن لفها بعناية تامة وأخذ من الحاج منديلا آخر للغاية أيضا
حتى اذا فرغ قال للحاج . اعلم الآن بان لى شريكا في هذا الكنز
لاأستطيع ان أحتال للتخلص منه باية حيلة . لذلك أطلب الآن مائة
جنيها لانفقها معه في شؤوننا وحين احتاج الى غيرها آتي في طلبها
قال لك كل ماتطلب ولكن من أين حصلت على هذا الكنز قال

اعلم اني طرقت مع زميلي الذي ذكرت وجوده معى منزل آل سرسف في بيروت وأنت تعلم بانهم أغني قوم فى سوريا كلها فوحدنا هذه الحلى في خزانة قفلها غير متين موضوعة في علبة كبيرة من المخمل الازرق فاخذت العلبة وأفرغتها في منشفة كبيرة وجدتها على كرسى في الغرفة ونزلت على السلم المركب من الحبال المشبوك فى الشرفة الي الحديقة فتسلقت السور مع رفيقى الذي كان مقيما على انتظاري وعلى المراقبة خشية ان يداهمنا أحد من رجال الحرس أو خدم القصر وكان كلما سألني رفيقي عما فعلت أجبته سوف تعلم ولم نزل سائرين محمولين على أجنحة السرور لظفرنا بهذا الكنز حتى وصلنا صيدا في هذا الصباح فقضينا النهار خارج المدينة حتى اذا مالت الشمس نحو المغيب اتفقت مع شريكي بعد أعمال الفكرة مليا على أن نجعل هذا الكنز بين يديك لعلمنا بانك من الرجال الصالحين ولا يمكن أن يشك أحد بك واني أقسم لك ماتحويه هذه الصرة لا يقل ثمنه عن الخمسين ألفاً من الليرات وقد اتفقنا بان نقسم هذا المال مما فيكون لكل منا الثلث وحيث لا بد لأصحاب هذا المال من رفع أمر هذه السرقة الي الحكومة فعليك ان تكتم أمرها مدة ثلاثة شهور على الاقل لأنك لاتجهل ماتبذله الحكومة من الجهد فى هذه المدة

لاكتشاف المسروق والقبض على السارقين وبعد انقضاء الثلاثة
الشهور أو ماحولها يخف البحث والتنقيب اذ ينقطع الرجاء من
الوصول إلى الغرض أوافيك الى هنا وتتولي بيع مارغب في بيعه
وتحتفظ بما تشاء مما يبقى. قال ذلك مايجب فعله والآن عد من حيث
أتيت وهاك المائة الليرة التى طلبتها ومتى صرت فى حاجة الى غيرها
مر على تجدنى رهين الاشارة قال ذلك ما أعهده فيك ياحاج فانا على
كل حال من محاسيبك وطوع يمينك ولولا مضايقة رفيقي والحاحه
لما أخذت الآن شيئا ثم سلم وخرج ولم يزل يتردد عليه أسبوعا بعد
أسبوع حتي بلغ ماأخذه منه ثلاثمائة ليرة وكان فى كل دفعة يزوره
يوصيه بالكتمان والصبر لأن البحث عن المسروق بالغ أشده

ولما انقضت الثلاثة الشهور وطال انقطاع نعوم عن الحاج ظن
ان الحكومة القت القبض عليه فاسرع الى الصرة ونقلها الى حفرة
أخرى خشية ان يفشى السارق أمرها اذا ماشددت الحكومة الضغط
عليه ثم خرج الى المدينة لعله يسمع خبرا عن السرقة وأصحابها ولما
لم يسمع شيئا عنها عاد الى بستانه والحيرة آخذة منه مأخذها فجعل
يسائل نفسه عما يفعل وفى الختام خطر له ان يأخذ منها شيئا يعرضه
فى السوق فاخرج الصرة وأخذ منها خاتما تبلغ زنة جوهرته ثلاث

قراريط وجعله فى بنصر يمناه حتى اذا أعجبه شكله خرج وجلس في دكان صائغ كان تعود الجلوس عنده وجعل يحدثه وهو يشير بيده اليمنى عند كل موضوع يتطلب الاشارة رغبة فى التفات نظر الصائغ الى الخاتم . اما هذا فلما رأى ذاك الخاتم في يد محدثه عجب من وضع مثله خاتما كهذا فى بنصره وهو المشهور بالثروة ورجاحة العقل فقال له رجائي يا حضرة السيد ان تخبرني من أين أبتعت هذا الخاتم قال لا أقول لك الا متى افدتني عن ثمنه لئلا أكون مغلوبا فضحك هذا وعلم ان احدهم لعب معه العوبة اذ أوهمه بان هذا الخاتم من الجواهر الغالى الثمن فقال له اني أدركت من جعلك اياه في يدك بأنك مغشوش لأنك لو عرفت قيمته الحقيقية لما جعلته فى بنصرك قال وما معنى ماتقول قال ان ثمن هذا الخاتم الذي تفتخر به لايزيد عن قرش أو قرشين واذا شئت ابتعت لك مثله باقل من هذه القيمة لأنه زجاج مركب على نحاس وهو مايسمونه الماس فير . فحار الحاج في أمره وبقى واجما لايجيب بشيء فقال له الصائغ مابالك كذلك فهل دفعت ثمنه غاليا قال اني لم ابتعه وحده وسأريك ماعندى مما يشابهه ثم قام الى بستانه وجاءه بتلك الصرة فلما رآها الصائغ ضحك وسأله عن سبب شرائه مافيها فاجابه ذلك . اقدر والله يعوضني خيراً ثم عاد الى

بيته كئيباً يحرق الارم غيظاً على نموم وقد فكر في رفع أمره الى الحكومة غير ان القسم بالطلاق الذي أقسمه عند استلام الوديعة حال دون ذلك وفضلاً عما تقدم فان عقابه لدى القانون كعقاب السارق لأنه شاركه في اخفاء السرقة لذلك ترك عوضه على الله بين كان نموم ينفق نقوده ضاحكاً في جهالته

أما يد شاهين في هذه الحيلة فقد كانت العامل الاكبر

العاديات

ومن نوادر نموم هذا مع يد شاهين انه حمل مرة عشر قطع من نقود الفينيقيين القديمة وركب جواداً من صيدا الى صور وهو لابس حلة جديدة حتى اذا وصل سأل عن منزل المدعو اسكندر فرح الذي يتجر بالعاديات ولما اهتدي اليه ترجل على بابه فقوبل بالاكرام اذ أعلن انه من أصحاب الاملاك في جهات صيدا وبعدان قدمت له القهوة سأله اسكندر المذكور عن غرضه فقال اعلم باني من أصحاب الاراضي الواسعة في جهة درب السيم القريبة من صيدا . وبين كان الفعلة يحفرون في حقل منها لاقامة حائط عثروا على أربع خوابي مملوءة نقوداً قديمة فما كان مني الا ان منعت الحفر وأمرتهم

بان ينتقلوا الى حقل آخر بعد أن دفعت لكل منهم اجرته مضاعفة ولما كنت عالما بانك من أشهر المتجرين بالماديات جئتك لتقوم إلى الحقل وتفحص تلك النقود لأني لم أفتح الا خابية واحدة منها وهذا ما أخرجته (ثم أراه القطع العشر التى كان يحملها) ومن يعلم شكل القطع التى فى الخوابى الباقية فقد تكون من الذهب غير أن خوفى من نقل الخبر الي الحكومة جعلنى ان أعرض عن فتحها والاسراع اليك . فتناول اسكندر القطع وفحصها فوجدها قديمة وقد تساوى الواحدة منها مبلغا فقال لمحدثه وما هو رأيك الآن .
قال ان تركب الى درب السيم فى صبيحة غد وتنزل عند الجسر ثم ترسل في طلبي اذا أردت من الناس لأن اسمي مشهور فاوافيك الى حيث تكون واتوجه معك الى موضع الخوابي ومتى جن الليل نفتحها وتساعدني على نقلها . قال رأى حسن قال اذن قد اتفقنا والحذر من التأخير لئلا ينتشر خبرها اذا أذاع عامل من العمال خبرها والآن حيث لا بد من رجوعي في هذه الساعة لاحافظ بنفسي على هذا الكنز الثمين فرجائي ان تنقدني مائة ليرة لأدفع منها للفعلة ما يكفيهم ولك ان تخصمها من الحساب متى استلمت الكنز فلم يسع هذا المخالفة فانقده ماطلب فما كان منه الا أن امتطي متن جواده

وعاد من حيث أتي وهو يوصي التاجر بالركوب الي حيث دله دون تأخير

وفى صبيحة اليوم التالي ركب اسكندر جواده جاعلا وراءه خرجا كبيراً فارغا مستصحبا اثنين من أقاربه فوصلوا الى الجسر الذى أشار اليه نعوم فى عصاري النهار فترجلوا وأرسلوا أحد الفلاحين الذين وجدوهم هناك ليدعو نعوم اليهم

وكان هذا حين رجع من صور أوقف زوجته على خبره مع اسكندر فرح وأمرها بأن تقول لمن يأتي في طلبه لمقابلة اسكندر فرح عند الجسر بان حكومة بيروت ارسلت في ليل أمس اربعة من فرسانها فى طلبه وانه الآن في بيروت وماذلك الا لأن الفعلة نقلوا خبر الكنز الى حكومة صيدا وهذه نقلته الي حكومة بيروت بعد ان أرسلت رجالها الى حيث توجد الخوابي فنقلوها اليها وانه اذا كان راغبا فيها فعليه ان يسير الي قائمقام صيدا ويطلب شراءها

فلما وصل رسول اسكندر طالبا نعوما قالت له زوجته انه غائب فى بيروت فما كان من اسكندر الا ان جاء بنفسه فالقت امرأة نعوم عليه ما كلفها زوجها قوله فادرك أن الرجل محتال وطلب الى زوجته ان تدله عليه والا رفع أمره الى الحكومة فما كان منها الا ان أغلظت

له القول وانتهرته مهددة اياه بالضرب اذا تردد فى الرجوع ثم صاحت مستغيثة بالجيرة معلنة ان هذا الرجل انما جاء لاغتصابها فما وسع هذا التاجر حينئذ الا الرجوع من حيث أتي اذ علم من أهالى تلك الناحية ان الرجل الذي يطلبه من النصابين المشهورين

رواغ شاهين

قبل ان هراً تخلى صاحبه عنه . فساءت حاله وعراه هزال ليس أشد منه كاد يذهب بحياته فقال فى نفسه ماضرني لو تركت بني جنسي ولجأت الى الجرذان استمد معونتهم بعد أن أقسم لهم الايمان المغلظة على انى اصافيهم واكون لهم عونا على الاعداء . لان الجرذان لا يعدمون واسطة للحصول على القوت فان مخزونات المنازل والمخازن مباحة لهم . ولما اختمر هذا الرأي في رأسه سار متثاقلا حتى وقف وراء باب الكرار فرأي جرذا مارا وبين اسنانه قطعة لحم مقدد فسال لعابه لدى مشاهدة اللحم لشدة مانابه من الجوع والضنك وصاح بالجرذ بكل مافيه من قوة قائلا . الى أين ياأبا جوال هلم تفر مني وتتواري عني ألا تعلم بأنى الصديق المخلص والاخ الشقيق . قال ومتى صرت كذلك وعهدى بك العدو الالد لبني قومي . قال

ذلك زمن قد انقضي وليغفر الله لى ماأتيته فيه لانى ندمت عليه أشد الندم ولا أخالك تصر علي العدوان وأنت ذوالرأي الصائب والقلب الطاهر قال معاذ الله ان اصر على طلب الانتقام أو على التمسك بالعدوان . غير اني لاأستطيع ان أركن اليك . الا بعد ان آخذ عليك العهود والمواثيق الضامنة لحياتى وحياة قومي . قال . لك ذلك وهذا مالا احجم عنه والحال اقسم له بانه سيكون اوفي وفي له ولجميع الجرذان علي شريطة ان يأتوه في كل يوم بما يكفى لقوته من اللحم والخبز والجبن والبيض وكل ماستطاعوا الوصول اليه مما يروق له اكله

فمضي الجرذ بعد ان ألقى ماكان يحمل بين يديه واطلع قومه على العهد الذي قطعه مع ابى غزوان وأمرهم بان يوفوا بعهدهم معه حتى لا ينقلب عليهم فجعل هؤلاء يأتون الهر بكل مالذ وطاب ويتركونه بين يديه ويمضون بعد ان يؤدوا واجبات الخضوع ولما امتلات خاصرتاه وانتفخت أوداجه خلع ثوب النسك ونفض غبار الهوان وحنث بالعهود والمواثيق التى قطعها على نفسه وانقض على شيخ الجرذة وزمرته وامعن فيهم نهشا وقتلا حتى اباد شأفتهم وهذا كان شأن شاهين فانه لم يكن يذكر لاحد معروفا بل كان يعد من يعطيه

انه انما يعطيه اما خوفا منه واما رغبة في ادخاره ليوم عصيب وكان
اذا أضافه أحد ووجد لديه مايسرقه فلا يتأخر عن سرقته وإذا
ماشاهده أحد في طريق وهو حامل نقوداً قتله أو سلبه ولو كان
من معارفه ، والشواهد على ذلك اكثر من ان تحصى وقد لا تجد سوريا
الا ويذكر شيئا عن فظائعه . وليس من ينكر عليه شدته وجرأته
غير انه اضاعهما لا بفعال الرجولية والبطولة بل بالسلب والنهب
والقتل وهذا ما بغض فيه الجميع

ولقد ذهب مرة الى كنيسة الآباء الكبوشيين في صيدا طالبا
الاعتراف ولما وافاه الكاهن أقر بما شاء وكرر ذلك مرارا فظن
الكاهن انه من الاتقياء الصالحين فجعل يتحفه كلما أتاه بشيء من
النقود اذ أخبره بان والدته مريضة وليس لديه مايبتاع به الدواء لها
ولم يزل على هذه الحال حتى انكشفت حيلته بواسطة أحد عارفيه
فتخلى الكاهن عنه اذ علم انه انما يمثل معه دور الهر مع الفار وانه
لا يبعد ان يهجم على الدير يوما ما ويسرقه

الدكتور شاهين

كان حين تضيق به السبل يلقب نفسه بالدكتور شاهين ويعلن عن نفسه بانه يعالج جميع الامراض ويضمن شفاها ويعطي دواء الحبل ويشفي أمراض الرحم والزهري وكل ما استعصي من الادواء فكان النساء يقبلن عليه ايما اقبال فيعالجهن معالجة طبيب ماهر ويربح ارباحا حسنة وقد مارس هذه الصنعة في مدن شتى غير أن الربح من وراء ذلك لم يكن يطيب له. لذلك كان اذا وجد على احدي من يعالجهن حلى ثمينة يسلبها اياها بكل خفة ودهاء. ولقد مارس هذه الصناعة في المنصورة وفي الاسكندرية غير ان امره انكشف فاقلع عنها مكثرا التنقل الى حيث يطمع بالعيش الوفير من وراء السلب

وكان كثيراً مايتردد على المرحوم خليل خياط باشا في الاسكندرية طامعا في سخائه فكان يعطيه مايخرج بيده من جيبه بلا حساب لا خوفا منه بل حبا بالعطاء كما كان يفعل مع غيره من الذين يترددون على بابه

وكان شاهين اذا قبض مبلغا مايجمع الذين على شاكلته ويذهب معهم الي حانات الرقص وبيوت الدعارة فاما أن يخرج خاوي الوفاض

واما ان يحتفظ بما معه دون ان يدفع شيئا سوى التهديد والوعد والوعيد فكان أصحاب تلك المواخير يحسبون حسابه ويتقون شره لانه كان سريع الغضب سريع الطعن ولم تكن المدية تفارق جنبه والمسدس جيبه ولم يكن يحمل الا عصا لاتنكسر ولو ضرب الصخر بها وكان يلبس حين ذهابه الى تلك المواخير عباءة كالتي يلبسها الاعراب يخفي تحتها مايحمل من سلاح أو نحوه وكثيراً ماكان يحيي الليالي في السكر والفسق واذا خرج ليلا وصادف أحداً في زقاق أو حارة وعلم ان عين البوليس لاتراه انقض عليه وسلبه ما معه مهما كان مقداره واذا بديء منه مقاومة ماقتله لان القتل كان من الامور المعتادة لديه

من خصاله انه كان اذا نال من أحدهم عطاء يعود فيكرر زيارته طمعا في عطاء آخر وحين كان معطيه يري منه تكرار التردد عليه ينفر منه ويوصي من يكونون على بابه بانكار وجوده فيدرك شاهين الغرض . ويعود من حيث أتى كاظما غيظه ومضمرا لهذا الرجل السوء

شاهين والبخشتاوى

كان في لبنان شاب ممتلىء الجسم متين العضل شديد البطش يلقب بالبخشتاوي ولم يكن يعتدي على أحد الا لسبب ضغينة وعند الضرورة القصوي الي المال ولما بلغ خبره شاهينا صادقه وآخاه وصار يمشي معه أماكن الترصد الذين يراد الانتقام منهم فخطر لهما أن يذهبا ذات يوم الى بلاد الشيعيين فى جهات صور فمرا في جهة موعرة كان فيها رجل شديد البطش يدعي الغزاوي يسلب كل من مر . فلما وصل شاهين وزميله الي هناك عارضهما الغزاوى طالبا سلبهما فضحكا منه ووجه كل منهما فوهة مسدسه إلي صدره وقال خسئت أيها اللئيم أعلى شاهين مرعي والبخشتاوي تعتدي أيضا . فلما سمع الرجل اسمهما القى بمسدسه الى الارض وصافحهما معتذرا عما بدا منه . فاصطحب الثلاثة منذ تلك الساعة وصار كل منهم يقطع الطريق في جهة ويقتسمون مايسلبونه مثالثة . وبعد انقضاء مدة على هذه الحال قال شاهين للبخشتاوى لم لانتخلص من الغزاوي ونخص نفسنا بنصيبه من الاسلاب . فاجابه هذا أيليق بنا ونحن في مرتبة واحدة وقد تآخينا أخاء لاتنفصم عروته ان نخون أخانا ونقتله

فوالله انك اذا اعتديت عليـه كنت خصما لك ماحييت . غير ان شاهين لم يكن ليرتدع بمثل هذا القول فبات يترصد فرصة غياب البخشتاوي وبقاء الغزاوى معه . ففي ذات يوم خرج البخشتاوى وحده وبقي شاهين والغزاوى فقال له هذا هل لك ان تفليني ياشاهين لأني أشعر بان القمل يكاد يسجيني قال ولم لا فنم على ركبتي فلم يكد المسكين يفعل ذلك حتى كان خنجر شاهين مدفونا في قلبه

ولما وقف البخشتاوي على الخبر رأى أن البقاء مع خائن كهذا ضرب من الجنون فكظم غيظه وعاد الى بلده وتاب عن السلب والنهب وأما شاهين فسار إلي جهة النبطية حيث تعرف بالخراب الذي كان على شاكلته وجعل يقطع الطرق معه الي ان تم شنقه على ماتقدم في الفصول السابقة

شاهين والمعلوف

اشتهر أحد وجهاء عائلة المعلوف بهذه العاصمة بالاتجار بالخيل والبغال اذ كان يجلبها من سوريا براً بطريق العريش اذ كان محظوراً تسفيرها بحراً

ولقد كان قادما ذات مرة بعدد كبير من هذه البهم ومعها الرجال اللازمين لخدمتها وحراستها فصادف في الطريق بعد قطع عكا شاهينا سائراً في طريق العريش وكان يعرفه جيداً ويعرف طباعه فلما علم انه قادم الى مصر كلفه مرافقة رجاله نظير أجرة معلومة مثلهم وما ذلك الا لعلمه بانه اذا لم يكلفه عملا لا يلبث ان يطلب اليه أن يمده بشيء من المال دون ان يأتي عملا. غير ان شاهينا كان يأبي تناول الطعام في كل مرحلة الا معه اذ كبر عليه ان يساوي نفسه برجاله فلما رأي الرجل منه هذه المضايقة سلط عليه رجاله فنزعوا منه سلاحه بعد أن أشبعوه ضربا وتركوه في الطريق لأنهم كانوا قد ملوا تعنته وغطرسته . فكظم شاهين غيظه وأقسم بأن ينتقم لنفسه بقتل ذاك التاجر غير ان يده ظلت قاصرة عن نيله بسوء حتى موته

شاهين ومرتا

مات شاهين وهو يقول : لم يقهرني أحد في العالم الا مرتا ولما سئل عمن تكون هذه المرأة اجاب انها المرأة التى اقترن بها أخيراً في برج البراجنة لانها لم تكن تهابه أو تعمل بأمره بل كانت تخالفه في كل شيء وتهينه وتعيره بخصاله دون أن تحفل بوعده ووعيده أو تحسب لغدره حسابا لانها كانت أشد عناداً منه . ومع ذلك تمكن من الاحتيال عليها في بيع بعض ماتملكه من العقارات وبدد ثمنه وبعد أن ضاقت به الحيل معها رحل عنها ولم يعد يراها حتى ساعة وفاته

مر مرة بمعلقة الدامور فرأى زوجا من البقر مربوطا بين التوت فاستاقه الي الجبة وباعه باربع ليرات ولما بحث صاحبه عنه ووجده عند المشترى اضطر الى دفع الليرات الاربع لمشتريه حتى تمكن من استرجاعه وقد علم من المشترى أن البائع كان شاهين وانه لم يشتره منه لباعه الي غيره فى غير الجبة

قبض عليه مرة فى جهات الباروك وسيق الى سجن بقدمين مكبلا بالقيود لاتهامه بقتل أحد أهالى الباروك فمكث في السجن ثلاثة شهور ولما لم تستطع الحكومة اثبات التهمة عليه أخلت سبيله

فسار الى جهة بعقلين ومنها الي جزين فرأي قطيعا من الماعز يرعى في تلك الجبال وكان جائعا جدا فاخذ تيسا من ذلك القطيع وذبحه فى دروة من تلك الجهة وجعل يشوى فيه ويأكل حتى كاد يأتي على ثلثه ولما شبع ترك ما بقي وسار طالبا الماء فوصل الي ينبوع فى سفح جبل فشرب حتى ارتوى ثم تابع السير فعراه على الاثر اسهال شديد لازمه ثلاثة ايام وبعد ان شفي منه سار الى جهة القازمية حيث لازم البرابص لسلب المارة . ولما لم يكن يري احداً لسلبه كان يسير إلي اول قرية يصادفها ويحل ضيفا ثقيلا على شيخها ويأخذ منه مدونة يومه التالى مع ما يكون طامعا به .

وقد بقي على هـذه الحال مدة حتى اذا تفاقم شره أرسلت الحكومة رجالها في طلبه ففر إلي الجبال وتوارى عن عيون رقبائهـا

خبر نعيه لأولاده

كان أولاده يحتقرونه احتقاراً عظيما نظراً لسوء سمعته وتمسكه بخطئه ولكنهم كانوا يهابونه خشية بطشه لذلك كانوا يطلبون بعده عنهم إلى أقاصي المعمور أو موته حتى يكتفوا شره. ومما قيل لنا عنهم انهم حين علموا بوفاته فرحوا فرحا عظيما وجعلوا يهنؤن بعضهم بعضا للخلاص منه. وليس من يلومهم فى ذلك لأنه كان حجر عثرة في سبيل سمعتهم وهذا كان شأن معارفه معه لأنه حين كان يماشيهم أو يجالسهم كانوا يجتهدون فى التخلص منه خشية ان يقال فيهم انهم من صفه أو ان يساقوا الى التحقيق اذا ارتكب جريمة ما. وعلى الجملة فان موته فرج كربة كثيرين وأولاده في مقدمتهم

ادعاؤه

طلب مرة من أحدهم نقودا ولما أمسكها عنه قال يكفيني أن أقول لك أن مصر تستطيع ان تقرى الدنيا واما الدنيا فلا تستطيع ان تقرى مصر فاجابه هذا كن أنت مصرا واقر الدنياودعني أكون الدنيا . قال هل نسيت كرمي قال لم أر هذا الكرم قط وقد يجوز ان تكون اكرمت رجال زمرتك فاذهب اليهم وطالبهم بالتعويض فخجل وتركه آسفا على عدم تمكنه من قتله على هذا الجواب

جزاء سنمار

قدم مصر ذات مرة وحل ضيفا ثقيلا علي احد معارفه فقبله على الرحب والسعة على شريطة ان يلزم الهدو والسكينة ولا يأتي امرآ مخلا بالامن العام فكان يلازم البيت فى النهار ويخرج في الليل ولا يعود الا عند منتصفه او بعده . وفي ذات صباح خرج مع مضيفه واسر اليه بأن زوجته تعشق سواه وان عشيقها يغشي البيت فى غيابه فكبر الامر على هذا الزوج المسكين وعاد الى امرأته يؤنبها ويزجرها وهي لاتدري لماذا وبعد ان سكن جاشه اوقفها

على الخبر فجعلت تبكي وتلطم واقسمت على ان تطارد شاهينا من البيت وهكذا كان وعلى الباغي تدور الدوائر

* * *

دخل مرة على احد اقاربه وهو جالس بين اصدقائه فحدجه قريبه هذا بنظرة حادة مظهراً الكدر لدخوله فادرك هو السبب وقال مابالي اراك تقابلني بالغضب والاحتقار الا تعلم بأني انا حاميكم قال وممن تحمينا ياهذا اما آن الاوان كي تعود عن خصالك ومساوئك فلقد شوهت سمعتنا وجعلتنا هدفاً للظنون والشبهات حتى بتنا نطلب الابتعاد عن كل بلد تقيم فيه . فبالامس جاء رجال الحكومة واقتادوا احد معارفك الى السجن لاعتقادهم بانه من اعوانك ومن الذين اشتركوا معك في السرقة الفلانية . قال فسوف اريهم مافعل ومادامت الحكومة تبحث عني فاني راحل عنكم ثم قام وخرج دون ان يلوي على شيء

مجالس شاهين

كان اذا جلس في مجلس وطلب اليه احدهم ان يقص شيئاً من حوادثه يروي منها الحوادث التي تدل على البسالة والجرأة والاقدام ويتحاشي الاخري ولم يكن يمنعض من شيء مثل اطرآء غيره من البواسل المشهورين لانه كان يطلب ان يكون في مقدمة الجميع ولهذا لقب نفسه بابي حمد

***

ذهب في مصر ذات يوم الي دير الرهبان الموارنه في شبرا طالبا نقوداً من الرئيس لانه كان يعرفه من سوريا فاعطاه جنيها غير ان الجنيه لم يكن لينفعه لذلك صار يتردد على الدير كل اربعة أو خمسة ايام دفعة طامعا في غيره ولما مل الرئيس منه أنبه على ذلك فقال له وماذا افعل ومن اين اجلب مايلزم للنفقة . قال عليك بالشغل فالرزق من ورائه قال ولكن كيف استطيع ان اشتغل بعد ان بلغت هذا العمر قال ان من كان مثلك لايتدانى للتسول قال ارى ان الاصوب السفر الى سوريا لقطع الطريق فيها اذ لاعيش لي في هذه البلاد قال افعل ماشئت ثم تركه ودخل فانصرف شاهين ساخطا وانقطع عن التردد عليه

١١٧

شاهين ومار عبدا

يوجد بالقرب من الدبية كنيسة مهدمة على اسم مار عبدا
فكان سكان تلك القرية وغيرها من القرى يجتمعون في عيد
هذا القديس للصلاة وبعد سماع القداس يخرجون ويتبارون باطلاق
النار لاصابة هدف يضعونه خصيصا على بعد نصف كيلومتر
فيقضون نهارهم فرحين مع عائلاتهم تحت أشجار الليمون
على نبع ماء (لا حرمنا الله منه)

وعند الغروب كان كل منهم يسير الى بيته . اما شاهين ولما لم
يكن له منزل كان يحل ضيفا على الاجاويد . فحل في مساء ذلك
اليوم ضيفا على المرحوم ملحم الطنب في مزرعة له تدعى قتلة عيس
فأكرمه هذا اكراما زائداً نظراً لما جبل عليه من الفضل والمعروف
وبعد ان انقضي هزيع من الليل قام شاهين ابو حمد والكل نيام
وتناول بندقية مضيفه التي كانت معلقة فوق راسه وهم بالخروج
بها غير ان صاحب البيت كان ارقا في تلك الساعة فرآه يتحفز
للخروج فهجم عليه وتعلق بتلابيبه لانتزاع البندقية منه فسمع

الشركاء صياحه فهرعوا لنجدته وقبضوا على شاهين وربطوه بالحبال وربطا مكينا والقوه فى مراح الماعز بعد ان أشبعوه ضربا وفى الصباح اخلوا سبيله وكانت هذه آخر مرة وطاءت فيها اقدام شاهين ارض تلك المزرعة فراح غاضباً شاتما ذالك اليوم والساعة التى عرف فيها تلك المزرعة المشؤمة

شتم شاهين

قال لنا احدهم انه بين كان ماراً ذات مساء امام قهوة فى الفجالة وتظنها الشانزليز سمع أحدهم يشتم شاهينا شتما قبيحا مهينا ويعنفه تعنفا شديداً وهو يهدر امامه كالبعير ولا يجيبه بكلمة بل كان يكتفي بفحص الارض بقدميه وهو يشتم الحكم الذى جعله ان يمسك يده عن الانتقام لنفسه حتى اذا انصرف شاتمه اقسم أعظم الايمان بانه لو قال كلمة واحدة مما قال فى خلوة لما تاخر عن البطش به

شاهين واولاد الابيض

حرض أحدهم شاهين على قتل أولاد الابيض الثلاثة وهم من باعة الدخان على طريق الشام فقام من عبيه عند الغروب حتي اذا وصل بيروت سار توا الى محل هؤلاء الشبان ملثما والمسدس في يده فاطلقه عليهم وعاد من حيث اتي بخفة الظبي . غير ان الحكومة ما عتمت ان القت القبض عليه واودعته السجن فقاسي فيه الامرين مدة سنتين تقريبا ولما لم تثبت الجريمة عليه أخلى سبيله

ولم يستطع المجني عليهم ان يسخروا ذمتهم باثبات الجرم عليه لانهم لم يعرفوه عند اطلاق النار وهكذا نجا كما نجا من تهمات كثيرة من قبل والفضل فى ذلك لتقنعه وخفته



سرقة الجلود المدبوغة

كان في صور رجل يمتهن دباغة جلود الماعز والضأن ويتجر بها في القرى المجاورة ولما ضاقت في وجه شاهين الحيل لأن الحكومة كانت جادة في طلبه وهو كامن في مغارة تحت الارض بين القازمية والليطاني مع رجل من زمرته رأى أن يخرج في ليلة حالكة مع زميله هذا لسرقة منزل ما. فخطر لهما أن يسرقا ما في تلك الدباغة من الجلود ويبيعاها في القرى البعيدة عن صور وهكذا كان فانهما داهما تلك الدباغة حوالي منتصف الليل والعيون ساهية وسرقا ما استطاعا حمله دون تمييز بين الالوان والاجناس وعادا الى مكمنهما ولما طلعت الشمس جاء صاحب الدباغة فرأى الباب مخلوعا والجلود المدبوغة مسروقة فرفع الامر الى القائمقامية التي ما عتمت أن أرسلت بعض جنودها للتجسس في الجهات القريبة من صور وفي المدينة نفسها وبعد انقضاء ثلاثة أيام على هذه السرقة خرج شاهين وزميله ليلا حاملين ماسرقاه الى بلدة بعيدة عن تلك الجهة وباعاه لرجل اسكافي هناك بأبخس الاثمان وسارا الى صيدا حيث اجتمعا

ارفهما فيها وجعلا يعاقران الخمر نهاراً ويخرجان للسلب والنهب ليلا

وكان المدعو اموم بنوت يتجسس لهما ويرشدهما الى أماكن صيد والقنص ويأخذ مما يسرقانه نصيباً وافراً

وكانا حين يخشيان وقوع العين عليهما يسيران الى بيته ي درب السين ويقيمان عنده وفي الليل يخرجان للنهب والسلب والخبص

مركزه في عبيه

كان الجميع يحسبون حسابه في تلك البلدة ولم يكن بينهم من يميل اليه ميلا صحيحا بل كانوا كلهم مجمعين على بغضه نظراً لشروره وخشية التلوث بأدرانه لذلك لم يكن يقيم فيها إلا نادراً

ولقد نزل مرة الي عين رافيل فصادف في طريقه رجلا ظنه حاملا نقوداً فبادره بطعنة في رأسه شطرته شطرين ثم بحث في جيوبه فلم يجد سوى اشلكا (ما قيمته نصف فرنك) فضحك وتابع سيره كأنه لم يأت أمراً ادا

بعض رواياته

ومما رواه لي انه كان فى مدة الحرب أثناء أسره يرى جثث قتلى الجوع مبعثرة فى كل بقعة ولم يكن من يكترث لدفنها فكان رغم صلابة قلبه يتأثر ويجود بما استطاع على من لا يزال فيه بعض الرمق وكانت الفتاة في تلك الايام تبيع عرضها برغيف إما لتسد به جوعها أو جوع أخوتها الصغار وهذا منتهى الفظاعة التى وصل الاتراك اليها فى سوريا وأرمينيا لانهم كانوا يحاولون ابادة العنصرين

ومما رواه عن فعاله المضحكة انه خرج ذات يوم لقطع الطريق بين صيدا وجزين ومعه غلام لم يطر شاربه فمر بهما رجل على حمار فقال شاهين للغلام عليك به

فقال انه رجل قوي لا قبل لي فيه

— إذا لم تسلبه نقوده قتلتك فما هذا الجبن

فقام الغلام حينئذ وانتهر الرجل حتى إذا وقف أشهر الطبنجة في وجهه فنزل الرجل عن حماره وقال ماذا تطلب

قال هات ما معك

وإذ ذاك ظهر شاهين من الاجمة ودعي الرجل اليه فتقدم

هذا مرتعداً لظنه انه مقتول لامحالة ولم يكن لسوء حظه يملك سلاحاً يدافع به عن نفسه ولما تقدم قال له تفضل واجلس

فذهب عنه بعض ما كان غامره من الخوف عند سماعه لفظة تفضل وبعد أن جلس قال له

أرني مامعك من النقود لاني أريد مقاسمتك

فأجابه وهو يرتعد لشدة مانابه من الخوف عوضي على الله ياسيدي

ثم مد يده وأخرج النقود وكانت خمسا وعشرين جنيها وقال اني متوجه لشراء ثورين لفلاحة أرضى بهذا المبلغ

— ولكنك تعلم اننا كلنا اخوة وعلى الاخ ان يمد أخيه متى كان قادراً وحيث اننا لا نملك فتيلا فاقسم المبلغ بيننا وخذ أنت مايخصك قال سأفعل . ودفع لكل منهما ثمانية جنيهات واحتفظ هو بالتسعة فلطمه على وجهه لطمة شديدة وقال له

— انك حمار ياهذا لأنك لم تحسن القسمة

فكظم الرجل غيظه وقال

— اقسم انت ياسيدى اذا شئت

— حسنا هات التسعة جنيهات

فدفعها الرجل اليه وحين صارت في يده دفع للغلام اثنى عشر وأخذ هو مثلها ودفع للرجل الجنيه الباقي فقال له هذا

— انك لم تعدل ياأخي فى قسمتك اذ اعطيتني جنيها واحداً . فما دمت تعدنى أخا وجب أن تساويني بنفسك

— سأفعل ذلك مرة أخرى اما الآن فيكفيك أن تفوز بنفسك وهذا منتهى مايمكن ان أجود به عليك

— أسأل الله أن يعوض على

قال الرجل هذا ومضى لحال سبيله

ورب قائل لماذا نشرت سيرة هذا الرجل دون سواه من الاشقياء فى سوريا فنجيب باننا لم نقف على ماأتاه أحد منهم لانهم لم يكونوا يباهون بجرائمهم مثله ويروون وقائعها فى مجالسهم وفضلا عن ذلك فانه لم يكن بينهم من فعل فعاله وأغرق في الفظائع اغراقه . نعم ان مجاراته القبضايات مما يعذر من أجله لانه كان من صفهم ولكن ماعذره في قتل الابرياء فلو أقدم على مقاتلة انداده للانتقام لامرما لحسن السكوت لان تلك كانت عادات قبضايات بيروت كما هو مشهور عنهم ومع ذلك فليس لنا من نشر سيرته غاية ولو بقي هو حيا لما تأخر عن نشرها بغية الانتفاع بما يناله من ورائها كما قال ذلك مراراً

كان من حداثته شرس الاخلاق لا يهاب أحدا وطالما ربطه والده بالحبل وضربه بالعصي ليقلع عن الفساد ويلازم الذهاب الى المدرسة التي ضجت منه وطردته فنشأ كما تقدم وكان شديد العضل خفيف الجسم بحيث كان اذا ارتكب جريمة فى الشرق وجد على اثر ارتكابها في الغرب وأتي بألف شاهد على انه كان في ليلة الاجرام فى الغرب مع زيد وعمرو من الناس لذلك كان يتعذر اثبات التهمة عليه وكان الواقفون على الحقيقة ينكرون معرفتها خوفا من بطشه لأنه كان سريع الانتقام

شاهين ناظر زراعة

كان رجل من معلقة الدامور مفتشا لتفتيش نبروه وكان من اصحاب النخوة والمرؤة والسمعة الحسنة فلما علم شاهين بوجوده في التفتيش المذكور طار اليه على جناحى النعامة وحل ضيفا ثقيلا عليه . فعرض هذا عليه ان يجعله ناظراً تحت ادارته مقابل خمسة جنيهات فى الشهر وان يكون نفقات مؤونته كلها على التفتيش ولما لم يقبل صرفه مزوداً بخمس جنيهات وأجرة السكة الحديد الى الاسكندريه . وصار كلما عاد الى مصر يتردد على نبروه ويعود بمثل هذا المبلغ غيران الظروف ماعتمت ان خانته لان ذلك الرجل الكريم انتقل الى رحمة الله شبعانا من ثقل شاهين

قتله لاحدى الزائرات

روي ان امرأة زارت والدته مرة فمكثت عنـدها ثلاثة أيام فما كان من شاهين إلا أن وضع وسادة على وجهها وهي راقدة وجلس فوقها حتى أزهق روحها ولما افتقدتها والدته في الصباح لتشرب القهوة معها وجدتها جثة هامدة فصاحت وأعولت حتى اجتمع الجيرة كلهم وقرروا انها ماتت موتاً فجائيا ولو كان في صور إذ ذاك طبيبا ماهراً لعلم انها ماتت خنقا ولكن من ذا كان يدقق فى مسائل كهذه فى تلك الايام والاطباء لم يكونوا موجودين إلا في بيروت أو عكا لانهم كانوا أقل من القليل . أما سبب اقدام شاهين على قتل تلك المسكينة بالكيفية التى تقدم بيانها فلم يعلم

فراره من سجن بغداد

كان محكوما عليه بالسجن لمدة خمس سنوات في سجن بغداد فحار في امره وجعل يفكر في وسيلة تمكنه من الفرار الى ان راى يوما الفعلة يشتغلون في بناء حائط باقرب من سجنه ومن عادة الفعلة ان يخلعوا عنهم اثوابهم الخارجيه ويضعونها جانبا لتبقى نظيفه . فما كان من شاهين الا ان تناول ثوبا منها ولبسه ثم حمل معولا على كتفه واختلط بالفعلة وهو يقول طين ياطيانه وفر الى عبيه ولم يقف السجان على خبر فراره الا في المساء اذ افتقد الفعلة اثوابهم ووجدوا احدها مفقوداً

شاهين و القائمقام

كان المير مصطفى أرسلان قائمقام الشوف يلعب بشاهين
لعب القط بالفار فانه كان لا يتأخر عن القاء القبض عليه لدى أول
بادرة تبدر ويكون متهما بها كما انه كان يسخره بقضاء مايطلب
لتنفيذ ماربه وكان شاهين يعرف منه ذلك ويحاذر الوقوع في يده
وكان إذا وقع يبرىء نفسه من كل تهمة مهما جار السجانون عليه
وكان المير مصطفى يميزه عن غيره بالنسبة لحرصه على سره وهذا
ما كان يشفع فيه لديه خصوصا لانه كان يطيعه طاعة عمياء ولولا
هذه الطاعه لما قدم مصر ليغتال المرحوم سليم سركيس صاحب
المشير اذ ذاك الذي لم ينج من بده الا بفضل ذكاء الاخوان ونباهتهم

وقد بلغنا أن المير مصطفى سجنه عند رجوعه وعيره بالخيبة
والفشل وقد يكون أرسله ليخلص من شره ويوقعه بين يدى
الحكومة المصرية

وعلى الجملة فان فشله في هذه المأمورية جعله من المغضوب
عليهم في مركز المير الذي فصل في ذلك الحين عن القائمقاميه وحل
فيها نسيب بك جنبلاط بدلا عنه ولم يكن هذا الاخير شديد

الوطأة عليه مثل سلفه بل كان يداريه خوفا من شره وكان حين يأتيه في بيته بأمر رشيد بك ابن شقيقه بأن يعطيه ما يأمر به من النقود فيأخذها ويقول لمعطيه قل لسعادة البيك اني من عبيده واني مستعد لقبض روح من يشاء من أعدائه

قلة نخوته

قص مرة على أحد أصحابه حكاية أثناء الحرب الاخيرة وهو في معلقة الدامور قال . كنت أري كثيرات من البنات يتضورن جوعا وهن بحالة تفتت الاكباد فكنت أحيانا كثيرة اسعفهن بما يكون معي من الخبز دون مقابل وأحيانا مقابل التمكن منهن فتأمل توحشه هذا أيها القاريء وأحكم في أخلاقه ولكن عقابه على ذلك كان سريعا جدا لان جنود جمال باشا طاغية سوريا اذ ذاك ماعتمت أن القت القبض عليه واقتادته الى بيروت حيث اذاقته العذاب أشكالا حتى كادت تفقده الحياة وقد تقدم شرح ماذاقه في بابه

وصوله مرة الى بيروت

قال مرة مفتخرا بخوف النـاس منه . جلست ذات يوم في قهوة في بيروت لا أعرف فيها أحـدا لان أحـدهم كان متفقا معي على الملاقاة هناك فسمعت اثنين يتحدثان فقال أحدهما للاخر ماذا حـدث اليوم فهل من جـديد . قال لا ولـكنهم يقولون ان الاطرش طلع اليوم من البحر . قال وأي أطرش فهل تعني اطرش حوران أم غيره لانى أعلم ان اطرش حوران قد سافر الى اسطنبول بعد الاهانة العظيمة التى صـادفها في بيروت قال لا والذي اعنيه هو شاهين مرعي الاطرش المشهور بابي حمد قال واذا طلع من البحر فما الذي تخشاه منه قال ألم تسمع بفصوله الغريبة وفعاله التي فاقت فعال الابطال التى هابه من أجلها قبضايات المدينة قال دعه يخرج ويفعل مايشاء مادام لا خوف علينا منه ومادامت سجون الحكومة موجوده قال وهل تظن ان القبض عليه من الهنات الهينات فهو مثل على الزيبق فاذا رأيته لليوم هنا فلا تلبث أن تضيعه لانه يكون قد انتقل الى صبيه أو الدامور أو أية جهة وفضلا عن ذلك فان البوليس يخشى بطشه فلا يتعرض له بسوء قال اما انا فلا اخشاه وليس لدى مايطمعه

في قال أنا لم أخبرك بأمر طلوعه حتى اخوفك بل من قبيل الجديد
ومع ذلك فانه لا يقيم فيها طويلا بل يقوم الى لبنان خوفا من الوقوع
في يد حكومتنا قال شاهين سمعت هذا الحديث متهللا لانتشار سطوتي
في المدينة حتى صار اهلها يحسبون حسابي ويقتصون أثرى

تهجمه على المارة

كان اذا سار في جهة موعرة وصادف أحداً أيا كان مركزه
طمع فيه وفتشه وأخذ ما يكون معه واذا قاومه أحد قتله إما بالمدية
وإما بالرصاص ولم يكن يسير الا ملثما حتى لا يعرفه أحد فكان
تارة يلبس كوفية وعقالا وعباءه وطوراً بالبنطلون أو بالسروال
العربي ولا ينتقل من بلد الى آخر الا ليلا . وكان اذا وجد في مجلس
وفضل أحد الحضور غيره من الاشقياء عليه يتمعض ويتأثر ويخرج
من الجلسة وحين كانت حكومة لبنان تلح في طلبه كان يختبي
في دير الناعمة أو في منزل أحد المخلصين اليه ممن كانوا يلفون لفه .
ولقد كاد مرة يوقع بعض الذين قبلوه عندهم في قبضة الحكومة
لانها حين قبضت عليه بتهمة قتل ساسين بالدامور جعلت تدقق

البحث حتى عرفت الذين نزل في بيوتهم ممن يعرفونه فاستدعتهم الى بتدين وجعلت تحقق معهم مدة اسبوع تقريبا فكان حيث حل كالمصاب بالجرب يعدي كل من يقربه

شاهين والاسطى باولى

كان الاسطى باولى من النجارين المشهورين وله محل قريب من المينا وكان قوي البنية متين العضل ممتلىء الجسم لايهاب الموت وقد برهن على قوته وجسارته في مواقف كثيرة كانت سببا لتهيج قبضايات المسلمين في بيروت ضده وسعيهم لقتله لانهم كانوا يطلبون أن يخلو الجو لهم وأن تكون الكلمة النافذة في بيروت كلمتهم وكان شاهين صديقا للمذكور لانه كان يحب من كان مثله ويتردد عليه ويجالسه

في ذات مساء خرج الاسطي باولي من عمله للجلوس في احدى القهاوي للراحة والسير الى منزله فمر في نقطة مظلمة كان قد تعود ان يمر منها عند الخروج فاذا بطلقين ناريين قد أطلقا عليه من أيدي بعض القبضايات الذين كانوا مختبئين وراء حائط هنالك يرصدون مروره فخر المسكين صريعا لساعته ولما سمع رجال الدرك

دوي البارود اقبلوا ليروا ماحدث فاذا بهم يرون الاوسطي باولي منطرحا على الارض جثة هامدة فحملوه الى القشلاق حيث فحصه الطبيب وقرر موته . ولما بلغ الخبر ذويه اقبلوا طالبين جثمانه ليدبوه ويواروه التراب فسلم اليهم ولما نمي الخبر الى قنصلى اليونان وروسيا سارا الى الوالي طالبين الجناة فما وسع الوالى الا ان يبلغهم اربهم ولكنه لم يقرن القول بالفعل لأن قتل ذلك المسكين كان مدبراً ومقرراً من قبل وفي اليوم التالى اجتمع اشداء الرجال من المسيحيين في بيت القتيل وأمامه وأقاموا مندبا عظيما وصاروا يطلقون النار بالفضاء وهم يهددون مواطنيهم المسلمين وينذرونهم بالويل والثبور وابادة شافتهم انتقاما لقتيلهم الذي لايعوض . ولما بلغ الامر الحكومة أرسلت رجالها للمحافظة على الامن خشية قيام هؤلاء بتنفيذ وعيدهم وحدوث فتنة يتعذر اخماد نارها . غير أن أولئك لم يكونوا ليرهبوا الحكومة أو يخشوا سطوتها لأن قلوبهم كانت كأنها قدت من الحديد وكان شاهين والياس الحابي وغيرهما من المشهورين بالبأس والقوة في مقدمة الجميع فجعلوا يطوفون حول الميت ويعددون مناقبه نادبين شبابه وشدة بأسه وشاتمين الحكومة ورجالها وكل من تحدثه نفسه بالتعرض لهم بسوء وكان شاهين في مقدمة المهددين

المترددين . اما رجال الدرك فرأوا ان عدم التعرض لهم أولى بهم خشية استفحال الامر وحدوث هياج في المدينة يؤدى الى سفك الدماء

فظل القوم على هذه الحال حتى الساعة الثالثة بعد الظهر اذ كان الاستعداد قد تم للخروج بالجنازة واذ ذاك تقدم أربعة من الاشداء ورفعوا نعش القتيل على اكتافهم بمشهد عظيم جداً ارتجت له المدينة لأن الخوف من حدوث فتنة كان قد تملك القلوب غير ان تداخل الحكومة والقناصل في الامر سكن الهياج وجعل أصدقاء القتيل يخلدون الى السكينة الي أن يروا ماتفعله الحكومة مع الجانين.

اما شاهين فسار الي قنصل روسيا بعد حفلة الدفن قائلا قل لي ياسعادة القنصل كم من الرؤوس تطلب بدلا عن رأس باولى فاني مستعد ان آتيك بالقدر الذى تطلبه اما القنصل فصرفه بعد أن أوصاه بالتزام السكينة والهدو وترك الامر للحكومة لأنها هي المسؤولة في معاقبة الجانين لا هو غير ان هـذا القول لم يكن ليرضي صاحبنا لأنه كان يطلب من القنصل تعضيداً حتى يفتك بمن يشاء من اضداد باولى صديقه . فجعل يترصد هؤلاء في كل ليلة ويطلق الرصاص عليهم ويفر الى حيث لا يعلم أحد

وفي ذات مساء دخل منزلا كان تعود دخوله من قبل تقيم فيه

أرملة مع أولادها الثلاثة وهو مدجج بالسلاح والدبوس الحديدى في يده فلما رآه الاولاد ارتعدوا فجعل يضحك منهم وهو يخرج المسدسات والخراطيش من حزامه ومن عبه ويلقيها أمامه حتى إذا أخذ بعض الراحة خرج في شؤونه حاملا ماكان قد أخرجه معه وحوالي منتصف الليل عاد إلى ذاك المنزل وتواري في قبو منه كان مهجوراً لأنه كان قد قتل واحداً فبقى فى ذلك القبو ثلاثة أيام ثم فر منه ليلا الي لبنان ولما رآه رجال الدرك حاولوا سد الطريق لمنعه والقاء القبض عليه وكانوا ستة فما كان منه الا أن جعل فى كل يد مسدس وهجم عليهم هجوم الذئب الكاسر فتفرقوا أمامه وولوا الادبار . وحادثة قتل الاوسطى باولى هذه هي التى كانت سببا للاعتداء على الشبان الثلاثة فى طريق الحرش كما تقدم فى الفصول السابقة كما كانت سببا لقتل غيرهم . ولو كانت حكومة تلك الايام عادلة وحازمة لما كان يحدث فى بيروت حادث قتل أو اعتداء أو غيره فالذنب اذن كان ذنب الحكومة لانها هي التى كانت تهيج الطوائف ضد بعضها جريا علي سياسة فرق تسد . وما من وال حكم بيروت الا وخرج منها مثقلا بالوف الجنيهات التى كانت تأتيه من وراء مثل هذا الحادث

شاهين والنساء

جلس شاهين مرة فى مكان ضم بعض أقاربه ومحبيه فسأله بعضهم عن سبب موت النساء اللواتي يقترن بهن بسرعة فضحك وقال اني لا أتزوج الا ارضاء للشهوة وبعد ان أمل عشرة من ازوج منها أسكرها وأغرز فى يافوخها ابرة وهي سكرانة فيلتهب مخها وتموت وقد قتلت امرأتين بهذه الكيفية وكنت أحاول ان ألحق الثالثة التى معى الآن بهن لولم تكن حبلى فلما سمع هؤلاء قوله هذا تطيروا منه وأنبوه اما هو فكان يقابل تأنيبهم بالضحك وقلة الاكتراث لأن القتل كان لديه من الأمور البسيطة العادية بل من الامور التى تقضي بسرعة البرق دون عناء كثير

طريقته في السلب

كان اذا أراد سلب أحدهم دون ان يتعرض له بأذى قبض على كتفه بيد كالملزمة وعصره فيشعر الرجل بألم شديد يكاد يمنعه عن تحريك عنقه فيمد شاهين يده الاخرى حينئذ الى جيوبه ويسلبه مايجده فيها ويتركه وإذا حاول التخلص ضربه بعصاه على ساقيه ضربة واحدة تلقيه على الارض والويل له اذا تعرض للمقاومة لأنه يبادره اما بطعنة من مديته واما برصاصة من مسدسه فيقتله ويفر الى حيث لايعلم أحد .

رجوعه من اطنه

تقدم لنا القول بانه كان في اطنه من جلاوزة متصل ايران فكان يلبس كساء يشبه كساء الضباط العثمانيين وينقل السيف الاحدب . ولما عاد إلى بيروت حمل معه هذا الكساء فصار اذا ارتكب جريمة يعود بعد ارتكابها الى مربضه فيلبس ذلك الكساء ويخرج . وقد قتل مرة أحدهم وهو بذلك الكساء ومر أمام سراى الحكومة فلما رآه الجنود الواقفين هناك رفعوا سلاحهم لتحيته اما هو فما عتم ان فر الي لبنان خشية ان يلقي القبض عليه متى اكتشف القتيل

مقاومته للجنود

ورد على صيدا أمر من ولاية بيروت بالقاء القبض على شاهين
نه مختبيء في جبل قريب منها فارسلت خمسة عشر فارسا نامي
مدة لهذه الغاية وأمرتهم بان ياتوها به حيا أو ميتا فسار هؤلاء
حتى اذا بلغوا المكان ترجلوا وصعدوا الى الجبل ولما رآهم شاهين
من بعد جعل يطلق الرصاص عليهم فقابلوه بالمثل غير أن رصاصهم
كان طائشا لان هدفهم كان متواريا بصخرة كبيرة وأما رصاصه
فكان صائبا وقد خشي أن يحيطوا به وهو على هذه الحال فكان
يرسل الرصاص الى كل جهة ولما جن الليل حمل سلاحه وفر من
هناك الي حيث لم يعلم أحد فتقدم الجنود في الصباح ليفتقدوه
فلم يجدوا سوى اثاره وفضلات من سلاح وطعام

شراسته في بيته

كانت امرأته الاخيرة تركية لا تعرف من العربية الا كلاماً متقطعاً فكانت دائماً تعظه وتنهاه عن اقتراف الجرائم والانتداه الى بيته وأولاده حتى لا يشوه سمعتهم فكان كلامها هذا يذهب أدراج الرياح لانه لم يكن يطيق أن يخدم أحداً بامر معلوم لاعتباره أن مال الجميع فى قبضته وحين كانت تكثر من توبيخه وزجره كان يزجرها ويهددها بالقتل فلما رأت هذه أن لا حيلة في ردعه سكتت ولم يطل عليها المطال حتى اصيبت بالحمى فماتت غير آسفة على فراقه



شاهين ومحمود

كان في عين عنوب رجـل درزي يدعى محمود فاتحا قهوة
ب من الطريق العامة فـكان شاهين يجلس عنده في رواحه
ئه فيا كل ويسكر وينام دون أن يدفع شيئا وما ذلك الا لانه
يحاسبه دفعة واحده عند تمكنه من سرقة ما أو سلب أحد
شى هذا ان يقع ذات يوم معه في يد الحكومة اذ تعده شريكا له
جرائمه غير انه لم يكن يدري بأية واسـطة يتخلص منه ولما
يته الحيل ذهب الى بيروت وأخبر قومسيير يوليسها بأن شاهينا
ينفك عن المجيء اليه والاقامة عنده وانه كثيرا ما يأتيه بما يسرق
خفائه في منزله فاتفق معه القومسيير على أن يسـير اليه في فجر
يوم التالي فمليه أن يحافظ عليه وعند الفجر اقبل القومسيير مع
ربعة من رجاله المدججين بالسلاح وهاجموا القهوة وشاهين لا يزال
ى فراشه ولما شعر بهم حاول أن يأخذ المسدس من تحت الوسادة
ويطلقه عليهم غير أن محموداً لم يمكنه من ذلك بل طوقه بذراعيه
تطويقا شديداً حتى اذا وصل رجال البوليس شدوا وثاقه ونقلوه على
مركبة الى بيروت ثم أشبعوه ضربا بمؤخر البنادق حتى رضوا جسمه
رضا ولما أفرج عنه جعل يترصد محمودا حتى فاز به فاقتص لنفسه منه

نهايته

قدم مصر بعد ان وضعت الحرب أوزارها ليطالب بالمكافأة على ماتقدم وقد كان نفيه فى أشقودره وما قاساه فيها لم يكن كافيا لحمله على الندم والاستغفار والركون الى السلام والاقلاع عن الكذب فلاقي فيها من السلطة الطرد الذى يستحقه لانه ثبت لدي الانكايز انه حين وصوله الى بيروت طلب مقابلة جمال باشا رأسا حتى اذا اجتمع به قال له اني قدمت مندوبا من قبل الانكايز لتجسس أخبار الجيش التركى وموافاتهم بكل مايصل الى من المعلومات وانه جاء معي رفيق يدعي فلان . فلما سمع ذلك الطاغية ماسمع جعل يلقى عليه أسئلة شتى بغية الوقوف على حقيقته حتى اذا وقف على كل ماأراد أدرك ان الرجل ماكر وانه يحاول الانتفاع من الجهتين أي منه ومن الانكايز غير انه أبي أن يأمر بقتله بعد أن أتاه من تلقاء نفسه فنفاه الي اشقودره حتى لايسعي للفرار الى القطر المصري وينقل ما ربما يكون قد وقف عليه من أخبار الجيش العثمانى ولو ان الحدود كلها كانت مخفورة ولا زورق أو شبهه فى البحر

قلنا انه بات فى مصر حالة على عارفيه وكانت الدوسنطاريا قد

ادنه ومع ذلك لم يكن ينفك عن السكر وقلة العناية بنفسه كان
ه أبي الا اهلاكه بيده ولما لم يكن له ملجأ يلتجيء اليه لان الجميع
انوا يتباعدون عنه حتى لا يتلوثوا بشره اذا ما لصقت به تهمة ما نقله
حدهم الى القصر العيني

فبقي فيه سبعة أيام يعاني الاما مبرحة في امعائه التي كانت قد
تقرحت وكان الهياج اذ ذاك على أشده في البلاد وفي القاهرة أخص
للمطالبة بالحرية والحكم المطاق وغير خاف ماتطاير فيه من الارواح
فكان كلما قتل أو جرح واحد ينقل الى القصر العيني حتى اذا كان
باقيا فيه شيء من الرمق عولج على قدما يستحق من العناية فكثر
عدد هؤلاء حينئذ حول أبي حمد كان الله ابى الا ان يذكره بضحاياه
ويمثل أمامه فظاعة القتل في شخص هؤلاء الذى ضحوا بانفسهم
لانقاذ وطنهم

لم يكن يعلم ان الدماء البريئة التي سفكها تصرخ الي الله طالبة
الانتقام لها كما صرخت من قبل روح هابيل طالبة الانتقام لها من
قايين ومن يعلم ما اذا كان ضميره بقي متحجراً حتى ساعة موته فان
ذلك مالا يعلمه أحد لانه لم يكن وهو في ابان صحته نادما ما

ففي ذات يوم والهياج في مصر على أشده قرع جرس تليفون

البطركخانه المارونية في شبرا فوقف أحد الرهبان الموجودين هناك على التليفون مستفهما عن المتكلم فاجابه صوت قائلا انا القصر العيني قال وماذا نطلب قال ان المدعو شاهين الخازن من أبناء طائفتكم توفي في المساء الماضي فارسلوا من ينقله الى المدفن

فكانت البطركخانة حينئذ حضرة لاب الورع بطرس خوري لقضاء هذه المهمة وحضرته من المشهود لهم بالتقي والغيرة والعطف على البائسين والاعمال الخيرية فلاقي في وصوله اليه عناء كبيراً لان الجماهير كانت تملأ الشوارع وقطار الكهرباء مقطوعة ولم يكن يسمع سوي الصياح المتواصل صادراً من كل نقطة ليحيي الوطن ليحيي سعد غير انه تمكن بحسن اسلوبه من ان يشق لنفسه طريقا إلى أن بلغ القصر فاستقبله أحدهم وسأله عن غرضه فاجابه اني قادم لنقل جثة شاهين الذى أرسلتم في طلبي من أجله قال نعم ثم أمر أحد التمرجية فأدخله غرفة الموتى . فلم يكد يطأ عتبتها حتى اقشعر جسمه لرؤية مايزيد على العشرة ممددين فوق البلاط عراة فتقدم اليهم لفحص وجوههم علّه يهتدى إلى ضالته حتى اذا وجده وقف على رأسه يتلو صلاة وجيزة ثم التفت اليه وقال أيكون هـذا مصيرك موتى على البلاط عاريا أيها الشقي الذي قضيت حياتك بالشرور

لآتم قل لى ماذا تزودت من الدنيا التى أقلتك أرضها لتعبد ربك
صنع الخير فخالفت مبدأها وجنحت إلي لرتكاب المعاصي على
اعها حتى ضجت السماء والارض من فعالك الشريرة انظر كيف
ب عريانا كما كنت تعرى الذين فتكت بهم . انى لا اديتك ياهذا لان
يان هو الله وهو يحاسبك على كل كبيرة وصغيرة ولا بد ان تكون
نونتك قد تمت عند خروج روحك ومع ذلك فاني لا أبخل
الصلوة عن نفسك قياما بواجبي ولقد كنت تستطيع ان تستغفر
بك وتكفر عن معاصيك غير ان انصرافك الي الشر منذ شبوبك
كن الرزيلة من قلبك فاصبحت عبداً رقيقا لها ولشيطانها لذلك نزع
لله رحمته عنك ولكني لا أستطيع ان أقول الا انه رحمك لانه
فسح مجال العيش أمامك لعلك تندم بدلا عن أن يدفعك إلي حبل
الجلادين الذين علقوا فيه الابرياء فى ساحة بيروت

ثم حمله مع التمرجى ووضعه في التابوت الذي كان قد جلبه
معه على مركبة الموتي ولما سارت المركبة به عارضتها الجماهير الواقفة
في الخارج فقال لهم رفيق الكاهن دعوا المركبة تسير بهذا الشهيد
أيها الاخوان لانه من قتلى الشوارع وهكذا تمكنت المركبة من
متابعة سيرها الى المدفن فقال الكاهن للدفان عليك ان تعمق القبر

مما استطعت لأن من يحل فيه لمن أشر الناس وأخشى ان يخرج منه اذا لم يكن عميقا وبعد ان أهال عليه التراب عاد الى صومعته يعلم عن نفسه تلك كانت عبارة هذا الشقي الذي أنكرته السماء والأرض كما أنكره ذووه ومعارفه وفي ذلك عبرة المعتبرين

ولقد كنا نميل الى التوسع في بلمن فظائعه غير ان رواتها الذين حفظوها عنه لم يهتموا في ضبط تواريخ الحوادث وكيفية التحفظ لها واعداد معاهدتها لانهم لم يكونوا يطيقون الاصغاء والانتباه الى ما يقصه ولقد قال أحدهم كنت حين يقص علي شيئا من فظائعه يقشعر جسمي وأقول في نفسي حبذا لو استطعت ان اثبت عليه ما يقصه لكنت أريح العالم من شره

والقد جاء في أحد الايام غاضبا وهو يشتم الدين ولما سألته عن السبب أجاب توجهت الى أحد المنازل لمقابلة رجل أعرفه فرأيت زوجته في الشرفة ولما قرعت الباب لم أسمع مجيبا فكررت القرع ولكن على غير جدوى فقلت لعل الرجل غير موجود في البيت وامرأته تخشى وجودك معها لذلك أبت قبولك ولكي لا تقول لك ذلك وجها لوجه أنابت الباب عنها قال مهما كانت الحال فكان يجب ان لا تتأخر عن فتح الباب ولسوف أعاتب في ذلك زوجها. فقلت

لاحق لك في العتاب لانك من الناس الذين لا يؤمن جانبهم وهذا شائع عنك فخير لك السكوت والاكتفاء بما كان لئلا يقوم من يفتح أبواب جرائمك ويقال عنك أنك رجل يخشي منه على الامن العام فتهب الحكومة لنفيك كما فعلت من قبل اذا عادتك إلى بلادك على أثر وصولك فعليك أن تلتزم الصمت وتقنع بما لديك أو تسافر الي حيث لا يعرفك أحد وتصلح سلوكك فربما تصادف خيراً . قال ولكني لم أعد قادراً على تحمل المتاعب لاني مريض بامعائي . وما الذي أعمله ولم أتعلم شيئا وفضلا عن ذلك فاني أكاد أجاوز السبعين قلت الا يوجد من يسعفك بشيء حتى تستطيع ان تتعيش ولو من أخذ دكان صغير لبيع الدخان قال ومن ذا يعدني بما تقول قلت عليك ان تعرض أمرك على الجمعية الخيرية لعلها لا تبخل عليك بما يلزم لذلك قال لقد اعطتني مراراً ومثلها البطركخانة ولم أعد أستطيع ان اقف على بابيهما لهذا الغرض ويعار على انا الذى كان يملك كل ذي مال فى قبضتى ان أمد يدي للاستكداء ثم لطم المنضدة الرخامية التى كانت أمامنا فى القهوة لطمة كادت تقصمها وأرسل زفرة حري من أقصي فؤاده وقام وعيناه تقدحان شرراً فقلت في نفسي هذه نهاية الاشرار وما ربك بظلام للعبيد

(تمت)

تنبيه

منذ ما كانت الملزمة الاخيرة من هذا الكتاب مائلة للطبع ورد لنا بعض أخبار هائلة من وقائع هذا الشقي الشهير تفضح أسرار كثيرة عن أشهر الاسر البيروتية واللبنانية فارجأنا اصدارها على حدة بجزء ثاني وعليه نرجو من عموم اخواننا السوريين الذين وقفوا على شيء من أخبار هذا الداهية أن يوافونا بها لدرجها في الكتاب الثاني شاكرين حسن عواطفهم ومقدرين جميل التفاتهم م؟

ابن نابليون

أتعس ملك وأسعد مولود

كان نابليون الاول في سنة ١٨١١ قد بلغ أسمي درجات العز والاقبال ، وصار في اوج مجده ، وكأنما لم يبق لدى الاقدار من تحفة تخصه بها حينئذ سوي ولد يخلد لبيته الملك العظيم الذى أسسه فجادت له بذلك اذ كان في السنة التى قبلها قد طلق زوجته

جوزيفين التعيسة وبعد بضعة أسابيع أصبح ذلك الذي كان منذ هنيهة عسكريا صغيرا بدرجة ملازم في الجيش الفرنساوي زوجة لماريا لويزه كريمة أكبر وأفخم امبراطرة أوروبا . فلما كانت ليلة ٢٠ مارس من السنة الآنفة الذكر غصت شوارع باريس بما لا يحصى عديده من الخلائق التي هرعت اليها من كل صوب وحدب لاستطلاع خبر المولود المنتظر وكانت العلامة انه اذا أطلقت المدفع احدى وعشرين طلقة فالمولود أنثي واذا أطلقت مائة طلقة فالمولود ذكر فظل الناس ساهرين متربصين حتى الصباح والى ما بعد شروق الشمس وحينئذ ابتدأ دوي المدافع فصارت الخلائق كلها آذانا صاغية تعد الطلقات من الواحدة الى الواحدة والعشرين ثم صمتت برهة وجفت لها القلوب وهامت النفوس وشخصت الأبصار حتى اذا ماسمع دوي الطلقة الثانية والعشرين قابلتها بدوي من الهتاف والتهليل أشد وأقوى من هزيم الرعد صارخة فليعش ملك رومية . ثم اخذ الناس لساعتهم في اقامة الافراح ومظاهرات السرور بكل وسيلة ممكنة وكان الامبراطور ساعتئذ واقفا في أحدي نوافذ قصر التويلري مطلا على جماهير المتظاهرين ودموع الفرح تتساقط على خديه بدون ارادته . قال كونستان أحد حشم نابليون

«أن المجد لم يؤثر قط على فؤاد سيده ولم يحمله مرة على اذراف الدمع ولكن شعوره بفخر الابوة الآن قد رقق عواطف نفسه التي كانت لا تطرب لنصرة ولا تتأثر لإعجاب الشعوب والجماهير »

وكان نابليون بما له من ملكة الترتيب وعادة الاحتياط للامور قبل وقوعها قد سبق فدبر كل ما يلزم لذلك بحيث ان ملك رومية الصغير لم يظهر الى حيز الوجود حتى وجد فضلا عن هذا اللقب الملوكي بلاطا مستوفيا من مربيات ومرضعات وخدم وحشم لكل ما يلزم من أنواع الخدمة كأنما كان الامبراطور عالما بما يبدو على عروسه الامبراطورة من التقصير والقصور عن القيام بواجبات الامهات فدرأ عن ولي عهده وفلذة كبده غوائل هذا القصور .

أما عن الهدايا والتحف التي تقدمت بمناسبة ولادة ملك رومية فحدث عنها ولا حرج . من ذلك مهداً وسرير مطعم بالصدف والذهب الابريز دقيق الصنع بديع الشكل مقدم من بلدية مدينة باريس ومنها عربة للتشريفات مهداة لملك رومية من عمته كارولينه ملكة نابولي وهي نادرة المثال بديعة الصنع محكمة البناء رغما عن صغر حجمها وكلها مغشاة بالذهب ويجرها كبشان من ذوات الصوف الحريري الناصع البياض متى ركب فيها الملك الصغير للتنزه بحديقة التويلرى أو غيرها

وقد انهالت أيضا التهاني والقصائد على الامبراطور بصفة لم يسبق لها نظير من جميع الشعراء والأدباء في كل أوروبا سالكين في ذلك كل غريب وبديع من فنون النظم والنثر فكان يأمر لهم بالعطايا والجوائز والتحف السنية

وعقب ولادة ملك رومه بأيام قلائل أصدر الامبراطور أمراً عاليا بانشاء حرس خصوصي للصبي مؤلف من أولاد الاعيان والخواص لتكون له الرئاسة عليهم متى أصبح قادرا على تقلد سيف . فلم يمض على ذلك طويل زمن حتى بلغ عدد المنتظمين في سلك الحرس ٨٠٠٠ غلام . على ان ذلك كله لم يغن شيئا لقضاء القدر المحتوم فقد كان مسطورا على لوح الغيب ان نجم ذلك الملك الصغير يأخذ في الافول منذ مطلعه

وكان نابليون ينتظر بفروغ صبر انقضاء زمن طفولية ابنه وظهور امارات التعقل عليه وكانت الامبراطورة تدعي الجهل الكلي بأمر تربية الاولاد وتتصنع الخوف اذا أدني منها طفل ولذلك كثيراً ما كنت تري فاتح اوروبا ينسي أعظم المهام ويهمل أهم الاشغال الدوليه بسبب اشتغاله بمداعبة ابنه واهتمامه بالعناية به وقد أصبح مطمح انظاره وقبلة آماله وصار شغفه به أمرا معلوما للخاص والعام

وفى ستمبر سنة ١٨١٢ قام نابليون من فرنسا بحملته المشؤومة الموجهة على دولة الروس ولم يمض على مزايلته باريس بضعة أيام حتى جاءه رسول من الامبراطورة حاملاً اليه صورة ملك رومية الصغير وكان ذلك قبيل واقعة بوروديـنو العظيمة فظن الرسول ان الامبراطور يؤجل فتح الصندوق المشتمل على الصورة الى فرصة مناسبة فلم يصدق ظنه اذ قد نسي الامبراطور كل المهام على حد سواء ولم يبق له شاغل سوى فتح ذلك الصندوق والتفرس طويلا فى صورة ابنه المحبوب بلهفة واشتياق عظيمين. ثم انه وضع الصورة بعد ذلك على كرسي خارج خيمته حيث أقبل أمراء جيشه وقواد جنوده يتأملونها الواحد بعد الآخر فخاطبهم الامبراطور حينئذ قائلا : « أما والله لو كان ابنى هذا بالغا من العمر خمس عشرة سنة بدلا من سنة لكان موقفه الآن غير هـذا الموقف الذي ترونه » . فلما تفرقوا عنه كان معظمهم مغرورق العينين بالدمع

وقد توالت الحوادث بعد ذلك على نابليون بسرعة غريبة فلما عاد الى فرنسا فى نوفمبر سنة ١٨١٣ وشرر حريق موسكو لايزال متطايرا أمام عينيه كان ملك رومية قد بلغ الثالثة تقريبا من العمر وكان فرح الامبراطور به فائق كل وصف رغما عما

كان يعلمه من حرج موقفه ويتوقعه من الحوادث الخطيرة وقد بلغ به الشغف بابنه الى حد انه لم يكن يقدر على مفارقته ولو فى أثناء اشتغاله بأهم شؤون الامبراطوريه

وفى ٢٥ يناير سنة ١٨١٤ قضت حوادث أوروبا السياسية على الامبراطور بفراق زوجته الامبراطورة ونجله ملك رومية وقد شاءت الاقدار ان وداعهما هذه المرة يكون الوداع الاخير . فبعد أن عبأ الجيوش وأخذ الاهبة للحرب جمع نابليون كبار ضباطه في الحرس الوطنى بقصر التويلرى وخاطبهم قائلا « قد دخل العدو أرضنا واجتاز حدودنا فها أنذا ذاهب لأتولي قيادة الجيش بنفسى وبمعونة الله وشجاعة الجند أرجو أن أطرد العدو هذه المرة أيضاً من حدود فرنسا فاستودعكم أيها الحرس الوطني زوجتي الامبراطورة وابني ملك رومية »

ولم يمض بعد هذه الجملة تسعة أسابيع حتى أصبحت جيوش الدول المتحالفة على أبواب باريس فأسرعت الامبراطورة بالهرب مع ابنها رغماً عن وصية الامبراطور الي مدينة بلوا الكائنة على مسافة ١٧٨ كيلو متراً من باريس . وبعد أسبوع من هذا التاريخ أكره الامبراطور نابوليون على التوقيع على صك تنازله عن عرش الامبراطورية . وقبل نهاية شهر ابريل من تلك السنة كانت جوزيفين زوجته الاولي استراحت في قبرها من عناء الحياة وكانت آخر لفظة قالتها عند موتها هي كلمة « نابليون » فاذا بنابليون ساعتئذ مبعداً عصياً فى جزيرة البا

وعقب نفى نابوليون أسرعت الامبراطورة مع ابنها بمغادرة البلاد الفرنساوية والذهاب الى اوستريا حسبما أشار عليها البرنس ماترنيخ وزير النمسا فما عتمت ماريا لويزا ان أطلقت هنالك لنفسها العنان في الخلاعة والقصف فنسيت كل واجبات الوالدة بل وكل واجبات الزوجة فلم يستغرب الناس بعد ذلك ماطرأ علي ذلك الولد المسكين من التغيير في الصحة والهيئة اذ أصبح كاسف البال قليل الكلام كثيب النفس بعد ان كان كثير الضحك واللعب رشيق الحركات خفيف الروح . وبالجملة أصبح ملك رومية الصغير وهو لا يجد من كل مملكته بل من الدنيا بأسرها صدرا حنونا سوي جده الامبراطور فرنسيس ولكن بالرغم عن ميله الحقيقي اليه ومحبته الخالصة له لم يكن نابليون الثاني في النمسا من الآن وصاعداً الا عبارة عن رهن في أيدي وزرائها أو أسيرا سياسيا يهددون به فرنسا على الدوام كلما حاولت أمرا لا ينطبق على رغائب سياستها

ثم ان مصاهرة العائلة الامبراطورية فى اوستريا وعائلة بونابرت أصبحت معدودة الآن فى النمسا من أكبر غلطات الدهر ومن موجبات العار والشنار وبناء على ذلك أصبح اسم نابليون ممقوتا مرذولا لا تقبله الاسماع بل معدوما كانه لم يكن لا يتلفظ أحد بحرف منه فى بلاط آل هابسبرج . ودعى نابليون الثانى باسم فرانس ولقب بلقب دوك ريشستاد منذ بلوغه سن الثمان سنوات . غير ان ذكري نابليون قد بقيت مع كل ذلك محفوظة مكرمة مبجلة فى فؤاد شخص واحد فقط لا يزيد سنه عن الثلاث سنوات حينئذ وهو ذلك الصبي القائل لرسول أبيه بعد عودته من

جزيرة ألبا الي باريس « قل لبابا اني سأحبه جدا على الدوام » وهو القائل أيضا بعد معركة واترلو الشهيرة وسجن نابليون الاخير « متي صرت رجلا فلا بد لي ان أتقلد سيفي واذهب لانقاذ بابا من السجن الذي القوه فيه »

ومن المؤكد ان النية كانت معقودة على تربية ابن نابليون تربية دينية توطئة لرسامته قسيسا فيما بعد تخلصا من أمره غير انهم عدلوا عن ذلك العزم ظاهريا وعين له عدة من خيرة الاساتذة لتهذيبه وتثقيفه فانتفع بعلمهم وأدبهم انتفاعا كبيرا وأظهر من الذكاء والنباهة ما أدهشهم مرارا كثيرة . قيل رآهم مرة وهو صغير يتناقشون في تفضيل البعض من مشاهير القواد ثم اجمعوا علي الاقرار بالفضل لثلاثة منهم ذكروا امامه فقال بصوت يختلجه الاضطراب والحياء « اني أعرف لهؤلاء رابعا تضمونه اليهم اذا شئتم » فالتفت أحد الاساتذة مندهشا وسأله ومن هو ؟ فأجابه « ومن هو الا أن يكون والدي »

هذا فأي فرق وأي بون بين ما يبديه هذا الصبي التعس من حسن الولاء وصدق العهد لوالد لم يكد يراه حتي غاب عنه وبين الخطة التي سلكتها أمه زوجة أبيه التي أدهشت العالم بطيشها ونسيت من شريك حياتها كل شيء حتي الاسم والذكر

ولما أتم نابليون الصغير السنة العاشرة من العمر وردت الانباء الي ممالك اوروبا بوفاة الامبراطور نابليون في منفاه فلما أبلغ الخبر الي ابنه أظهر من الحزن والتحسر ما يستغرب حصوله ممن كان في سنه وقد بقيت

ذكرى والده معززة مكرمة لديه حتى آخر نسمة من حياته

وقد اجتهد البرنس ماترنيخ كل الاجتهاد في اخفاء اسم نابليون وأعمل كل حيلة لمنعه عن الزيارات والحفلات والظهور أمام الجمهور فكان فكان يقضى معظم أوقاته فى قصر شونبرون المخصص لاقامته وبلغ من تضييق مارتنيخ ان المصورين أنفسهم قلما كان يرخص لهم بمقابلته

ومما زاد في اشجان نابليون الثاني ومرر عيشته أكثر من كل شيء زيادة احساسه كلما تقدم فى السن بعيوب أمه وقباحة سيرتها وخيانتها لعهد أبيه فكان له منها ما كان لهملت من مسلك أمه ملكة الدانيمرك

ولما بلغ نابليون التاسعة عشرة من عمره ساقته الصدف الي التعرف بالكونت بروكش أحد نابغى الجيش النمساوي الذى اشتهروا بالفضل والبسالة فاشتدت رابطة المحبة والصداقة بينهما حتى أصبح الكونت مستودع أسرار صديقه وأمينه الوحيد ومستشاره الخاص النصوح فخفت بوجوده وطأة الهموم والاحزان على نابوليون ولمعت بوارق الامل زمناً ولكن وا أسفاه قصيرا

وفى هذه الاثناء عرض علي نابوليون مراراً أن يسير الي فرنسا للاستيلاء علي عرش أبيه بمساعدة حزب من الاحزاب السياسية فى باريس فكان دواماً يرفض ذلك بكمال رأيه وثاقب فكره الي أن كانت سنة ١٨٣١ فكاشف حينئذ في الامر جده الامبراطور فرنسيس فكان جوابه له أنه « اذا طلبت الامة الفرنساوية ذلك ولم تعارض الدول المتحدة فلا تبدي اوستريا أدنى معارضة من جهتها » فسر نابوليون سروراً عظيما بهذا الجواب

ذي أحيي آماله وأنعش منه الفؤاد واتفق بعد هذه المقابلة أن نابوليون عي الى حفلة راقصة في قصر سفير انكلترا في فينا فكان في هذه الحفلة وضوع الاجلال والحفاوة والاكرام والعناية من كل عميد وكبير ا بدا عليه من مخايل النجابة وسمو الادراك ورقة الشمايل وشرف مواطف وخصوصا لشدة شبهه بابيه حسيا ومعنويا في معظم الامور

والظاهر ان كل هذا قد كان من شأنه زيادة هواجس البرنس ماترنيخ وتمسكه بمبادىء سياسته المعروفة أكثر فاكثر . وقد زاد الطين بلة انه بعد ذلك بايام قلائل وفد الى فينا الجنرال بليار الفرنساوى مندوبا فوق العادة لاخطار الحكومة النمساوية بتولية لويس فيليب ملكا على عرش فرنسا . فمن الغريب انه بينما كان هذا الجنرال يبلغ مغزى مأموريته الى البرنس ماترنيخ كان هذا ماسكا بيده رسالة وقعت في يده موقعا عليها من الجنرال بليار ومعظم قواد الجيش الفرنساوي بمبايعة نابليون الثانى امبراطورا على فرنسا

على أن سياسي اوروبا وملوكها كانوا قد تعاهدوا أن لا يكون ملك فرنسا لنابليون مادام الامر في يدهم وما تم أن أدرك ذلك نابليون الثاني نفسه فاظلمت الدنيا في عينيه وأرخت الهموم عليه سدولها مرة أخرى فأخذت قواه تنحط بسرعة وأخذ جسمه في النحول والضعف واستولي عليه اليأس والقنوط وهو يكتم مابه ولا يبوح بما في ضميره لاحد حتي أنهك الضعف قواه ومات شهيدا على مذبح السياسة الاوروبية وبموته مات الامبراطور نابليون الأول مرة ثانية »

انتهي

اشتركوا فى مجلة

مسامرات الخليل

أكبر وأرخص مجلة أدبية روائية شهرية مصورة

سنتها اثنـــا عشر عددا

صاحبها ومديرها ابراهيم خليل صاحب مطبوعات الخليل

بشارع محمد على رقم ١٠٥ بمصر

هي المجلة الوحيدة من نوعها ، تنتخب أحسن الروايات وأبلغها عظة وفائدة ، ومزينة بكثير من الادبيات والفكاهات والحكم المأثورة ، مع بعض من الشعر القديم لفطاحل الشعراء ، وسنتها اثنا عشر عددا صفحات كل عدد ما يقرب من المائتين ، وقيمة اشتراكها فى القطر المصري والسودان ثلاثون غرشا صاغا وللخارج أربعون غرشا أو عشرة فرنكات ذهبا

نحث القراء الكرام عموما على اقتناء هذه المجلة ، سيما وانها بفضل الله وقوته قد جازت سنتها الاولى التى سارت بها على النمو المطلوب حتى حازت رضاء القراء الكرام عموما ، خصوصا أن

رواياتها خالية من كل ماشين الفتى والفتاة ، حتى أصبحت والحمد لله منتشرة بين سائر العائلات وناشئة المدارس ، وقد افتتحت سنتها الثانية في أوائل يونيو (حزيران) سنة ١٩٢٧ برواية من أبدع وأدهش الروايات التاريخية الا وهى رواية

باردليان وفوستا

فى اسبانيا

لم يبق أحد من قراء الروايات الا وعرف باردليان وفوستا ، وقد نشر لهما الكاتب القصصي الفرنسي الشهير ميشيل زيفاكو روايتين تفصل تاريخ حياتهما ومنشأهما وما فطر كل منهما عليه من الاطماع وحب الرفعة ، في أواخر حكم آل فالوا من ملوك فرنسا وأوائل حكم آل البوربون لهما صلة كبيرة فعالة بانتقال الملك من العائلة الاولى الى العائلة الثانية ، حتي بلغ من جرأة فوستا أن إغتنمت هذه الفرصة ونهضت بقوة المال والدهاء ، تطالب بتاج البابوية لنفسها منازعة البابا سيكست كنت سلطته وعرشه ، لولا أن وقف لها باردليان بالمرصاد وأحبط جميع مساعيها ، وقد عربه

تينك الروايتين الكاتب الناثر البليغ فقيد النثر والنظم طانيوس عبده وطبعتا أكثر من مرة وقد سمي الاولى باسم ذلك الفارس الشجاع والبطل المناع من دان لسطوة سيفه كل فارس في عصره « بارداليان » وسمي الثانية باسم تلك الداهية من حازت أبلغ درجات الحسن والجمال ، وامتلكت عنان الحزم والجرأة والاقدام « فوستا » وقد انتهت هذه الرواية الاخيرة عندما قتل هنري الثالث ملك فرنسا من آل فالو ، واستلم زمام الملك هنري الرابع البوربوني وباريس تحت الحصار ، وعليه اتبعهما المؤلف برواية ثالثة دعاها « بارداليان وفوستا — في اسبانيا » تشرح أعمال فوستا بعد ما أخفق مسعاها في نوال عرش البابوية حيث نهضت تسعي لاسقاط هنري البوربوني عن عرش فرنسا ، وزفع اليه فيليب الثاني ملك اسبانيا وتتزوجه ، لتضع على رأسها تاج المملكة المزدوج ، الا وهو تاج فرنسا واسبانيا معا ، ولم يحبط مسعاها الآخر الا ذلك البطل الشديد والفارس العنيد بارداليان الشهير فكانت نتيجة أعماله تثبيت قواعد عرش هنري دي بوربون ، وفشل فوستا ، وعليه تكون هذه الرواية متممة لحوادث الروايتين السابقتين ، فتلفت اليها الانظار

